جامعة الأزهر
حولية كلية اللغة العربية
بنين بجرجا

# نقد ابن أبي عتيق لشعر عمر بن أبي ربيعة بين التذوق والتقعيد

د. الدكتور
ممدوح شعراوي محمود محمد
الأستاذ المساعد في قسم البلاغة والنقد ـ كلية اللغة العربية
بأسيوط ـ جامعة الأزهر ـ جمهورية مصر العربية

العدد الرابع والعشرون
للعام ١٤٤٢هـ / ٢٠٢٠م
الجزء الثاني عشر
رقم الإيداع بدار الكتب المصرية ٦٩٤٠/ ٢٠٢٠م
الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

بسم الله الرحمن الرحيم

# نقد ابن أبي عتيق لشعر عمر بن أبي ربيعة بين التذوق والتقعيد

**ممدوح شعراوي محمود محمد**

قسم البلاغة والنقد - كلية اللغة العربية بأسيوط - جامعة الأزهر - جمهورية مصر العربية

البريد الإلكتروني: mamdouhmohammed.47@azhar.edu.eg

## الملخص

يسلط هذا البحث الضوء على الناقد الأموي عبد الله بن أبي عتيق الذي كان مصاحباً للشاعر المخزومي عمر بن أبي ربيعة ، في محاولة تهدف إلي جمع شتات النقدات التي وجهها ابن أبي عتيق إلى شعر ابن أبى ربيعة ، مع بيان أوجه الجمال والقبح في شعر صاحبه ، مع بيان النقد التأثيري في شعر ابن ابي ربيعة ، وكيف كان لشعره أثر في المتلقي بحيث يميل إليه ويدافع عنه ثم الوصول من خلال هذه النقدات إلى إثبات أن أركان عمود الشعر العربي ، الذي تأصلت قضيته في القرن الرابع الهجري ، إنما غرست بذوره ونمت جذوره في القرن الأول الهجري ، ثم إثبات كراهة ابن أبي عتيق أن يخرج صاحبه عن تعاليم الدين في شعره حتى ولو كان على سبيل التمني ، مع الاهتمام بصدق العاطفة لدى الشاعر وعدم الخروج بها إلى مرحلة المبالغة غير المقبولة ، ثم التركيز على عدم التناقض بين أجزاء الصورة على وجه غير مألوف ، أو عدم التناسب بين ظاهر الجملة والمعنى المراد منها ، وقد اتبع البحث في سبيل الوصول إلى بيان ذلك المنهج الوصفي التحليلي ، وكان من نتائج هذا البحث : التأكيد على امتلاك ابن أبى عتيق القدرة البيانية التي تميز بين جيد الشعر ورديئه ، مع حمل نقده البذور الأولى لقضية عمود الشعر العربي ،مع الاهتمام بصدق العاطفة واستقباح صورة الفحش في شعر صاحبه ،مع اثبات أن كثرة أسماء النساء في شعره دليل على عدم صدقه في حبه .

**الكلمات المفتاحية : نقد ، عتيق ، عمر ، عمود ، الشعر .**

ISSN 2356-9050 الترقيم الدولي
ISSN 2636 - 316X الترقيم الدولي الإلكتروني



حولية كلية اللغة العربية بجرجا
مجلة علمية محكمة

# Ben Abi Atiq's criticism of Omar Ben Abi Rabea's poetry Between tasting and founding

**Mamdouh Shaarawy Mahmoud Mohammed**
Rhetoric department – Arabic language college – Al Azhar University – Assuit - Arab Republic of Egypt
**Email:** mamdouhmohammed.47@azhar.edu.eg

## Abstract

**The study sheds a light on the Ommayad critic Abullah Ben Abi Atiq who was a friend of the Makhzomi poet Omar Ben Abi Rabea's , through a trial of gathering Abi Atiq's critical views towards Omar Ben Abi Rabea , explaining beauty and ugliness sides of his friend's poetry viewing the impactful criticism of it . He also clarifies the extent of Abi Rabea's poetry's impact on the reader , the thing that pushes him (the reader) to love and defend it .**

**The researcher also tried to prove ,through these critical views , that the fundamentals and basics of the Arabic poetry , whose case was rooted in the 4th hijri century , were established and developed in the 1st hijri century . The study also sought to prove Abi Atiq's hatred of his friend's deviation from the Islamic teachings in his poems even if it was for wishful thought . Abi Atiq cared about the poet's true affection and preventing it from turning into a kind of an unaccepted exaggeration , and focused on avoiding contradiction between the image parts in unfamiliar way or the lack of proportion between the form of the sentence and the intended meaning . The researcher utilized the descriptive analytical approach to prove these points . Some results of the study are the following:-**

**-Assuring Abi Atiq 's rhetorical ability that distinguishes between the enriched poem and the poor one.**

**- Abi Atiq 's criticism contained the basic principles of the Arabic poetry foundation .**

**-Abi Atiq's interest in the true affection and hatred of the obscenity of his friend's poetry, and proving that the multiplicity of women's names is an evidence of the of his friend's untruthful love.**

**Keywords:criticism , Atiq, Omar, foundation , poetry.**

بسم الله الرحمن الرحيم

## المقدمة

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، سيدنا محمد ــ صلى الله عليه وسلم ــ وعلى آله وأصحابه أجمعين، ومن سار على دربهم واقتفى أثرهم إلى يوم الدين ... ثم أما بعد ....

فمن المعلوم أن جذور النقد الأولى – في تراثنا النقدي – وُلدت عربية محضة ،بحيث لم تتأثر بتيارات أجنبية، ولم تستجب لمؤثرات خارجية، ولا أدل على ذلك من الحس النقدي الذى تجده عند شعراء الجاهلية القائم على الذوق والسليقة الحية، ولا يخفى عل بصير في ذلك ما كان يقوم به عبيد الشعر أمثال : زهير والحطيئة وطفيل الغنوي والنمر بن تولب تجاه شعرهم من مُدارسةٍ ومراجعةٍ وحذفٍ وإضافةٍ وإصلاحٍ وتهذيبٍ، حتى يصونوا نتاجهم عما يشينه أو يعيبه.

وما نظرُ الشاعر في قصيدته لإصلاحها وتهذيبها إلا نقد منه لما رآه عيباً فيها، وما القبة الحمراء التي كانت تضرب للنابغة في سوق عكاظ ليتحاكم إليه الشعراء في قصائدهم إلا نوع من النقد الذي يكشف عن مواطن الحسن والقبح في ما يُعرض عليه، وما قول طرفة بن العبد لخاله المتلمس حين أنشده :

وقَدْ أتناسَى الهَمَّ عِند احْتِضَارِهِ ... بِناجٍ عَلَيْهِ الصَّيْعَرِيَّةُ مُكْدَمِ [1]

(١) مقدمة ديوان طرفة بن العبد ص٥ تح/ مهدي محمد ناصر الدين- دار الكتب العلمية- ط: الثالثة – ١٤٢٣هـ ٢٠٠٢م.

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

( لقد استنوق الجمل ) إلا دلالة على حسه النقدي الدقيق ووعيه العميق بدلالات الألفاظ وكيفية استعمال الكلمات، وما تحاكمُ امرئ القيس وعلقمة الفحل إلى أمِّ جُندب في أن يصف كلٌّ منهما فرسه بقصيدة ، وتفضيل أمِّ جُندب قصيدة علقمة على قصيدة امرئ القيس [١] إلا نوع من النقد الفطري الذي يعتمد على الإحساس بمواطن الجمال الدقيقة والوقوف على مواضع الجودة في هذه القصيدة وخلوها من تلك.

ولا يخفي أن النقد في هذه المرحلة كان يعتمد في أكثر الأحيان على الذوق السليم والطبع المستقيم، وعلى الانفعال والتأثر بما تحويه القصيدة من دلالات ومعان، وليس ما ذُكر إلا قليل من كثير عُرف وشُهر في تراثنا النقدي القديم، وكأن هذا التراث هو عيون موسى –عليه السلام– التي كلما ضُربتْ تفجرت منها ينابيع جديدة، وترقرقت على جوانبها فيوضات فريدة، فلاحت عليها ديباجة الحسن، ومال بثمارها جانب الغصن.

فإذا ما تجاوزنا ذلك إلي عصر صدر الإسلام تبين أن الأحكام النقدية التي وُجدت فيه كانت امتداداً للنقد الجاهلي، ولا أدل على ذلك من موقف النبي – صلى الله عليه وسلم – من قصيدة كعب بن زهير ( بانت سعاد ) حيث استحسن النبي – عليه الصلاة والسلام – البناء الفني لهذه القصيدة ووقف منها موقفاً إيجابياً – رغم أنها بدأت بمقدمة غزلية على نحو ما كان في أغلب القصائد الجاهلية – ومن ثم قبلها منه، وقبل توبته وخلع عليه بردته مكافأة له[٢] وعُرف عن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب – رضى الله

(١) ينظر تفصيل الخبر في : الشعر والشعراء لابن قتيبة الدينوري ( ت ٢٧٦هـ ) ٢١٢/١– دار الحديث– القاهرة – ١٤٢٣هـ .

(٢) ينظر: العمدة في محاسن الشعر وآدابه لابن رشيق ٢٣/١: ٢٤ تح/محمد محي الدين عبد الحميد– دار الجيل – ط : الخامسة ١٤٠١هـ ١٩٨١م .

عنه – أنه كان يعلل حكمه على الشاعر، ومما هو مشهور في ذلك حكمه لزهير بأنه أشعر الشعراء، فلما سئل عن ذلك قال : كان لا يعاظل بين الكلام، ولا يتتبع حوشيه، ولا يمدح الرجل إلا بما فيه [١]

لكل هذا وغيره كان سبباً في أن يتقبل النقد العربي ما ينتظره من تطور بدا واضحاً في عصر بني أمية؛ حيث استتب الأمر لهم في تلك الحقبة من حكمهم وكثرت أسباب الترف والنعيم، فأرادوا أن يشغلوا الناس عن أمر الخلافة فاهتموا بالشعر والشعراء ومن ثم الحركة النقدية، وقد ظهر في هذ العصر نقاد جعلوا نقد الشعر همهم الأول بشكل لم يكن له سابقة فيما سبقه من عصور؛ وذلك لأن حركة التدوين قد بدأت في شتى فروع الثقافة العربية. ومن أشهر الشخصيات الناقدة في عصر بني أمية عبدالله بن أبي عتيق ــ رضى الله عنه. [٢]

والعاكف على كتب النقد والأدب يرى أن ابن أبي عتيق قد مدَّ وتر قوسه، ورمى بسهام نقده نحو كثير من شعراء عصره، مثل: ابن قيس الرقيات(ت٨٠هـ ) وكثير عزة ( ت١٠٥هـ ) ونصيب بن رباح (ت١٠٨هـ ) والأحوص الأنصاري ( ت١١٠هـ ) ولكن لم يكن لأحدهم

---

(١) ينظر: الأغاني لأبي الفرج الأصفهاني ٤٤٤/١٠– دار إحياء التراث العربي – بيروت – ط: الأولى ١٤١٥هـ .

(٢) هو: عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن بن أبى بكر الصديق ابن أبي قحافة ، تابعي جليل، لأن والده محمد من أعرق الناس في صحبة النبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ لأنه هو ، وأبوه ، وجده ، وجد أبيه ، كل منهم رأى النبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ ونال شرف الصحبة ، وكان ابن أبي عتيق من أهل التقوى والصلاح ، مع خفه روحه في الدعابة والمزاح ، توفي ١١٠هـ ينظر : الطبقات الكبرى لابن سعد ٥/ ١٩٥ تح/ إحسان عباس ــ دار صادر بيروت ــ ط : الأولى ١٩٦٨م .

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

نصيب من ذلك، كما كان لعمر بن أبي ربيعة،(١) الذي قصر جلَّ شعره على فن الغزل دون سواه، حتى إن قارئ ديوانه يستطيع أن يميط اللثام عن الوجه اللاهي في حياة الرجل، بما فيها من حبٍّ وإغراءات ومسامرات ومغامرات، وقد ساعده على هذا كله وسامةٌ مُنحها، وثروةٌ ورثها، مع فصاحة لسانه القرشية وحلو شمائله العربية، كما هو مشهور عنه ... ومن هنا نال شعره حظاً من الرواية والحفظ والتحليل والنقد ما لم يكن لغيره.

ومن أصفى النقدات التي وُجِّهت إلى شعر عمر بن أبي ربيعة ما كانت من ابن أبي عتيق؛ وذلك لما بين الرجلين من صلة وطيدة، وعلاقة حميدة، جعلت من ابن أبي عتيق مرآة صادقة لشعر عمر، بحيث يرى فيها عمر جميل حسناته ، كما يرى فيها عيوبه وهناته ... من أجل ذلك كله جاءت فكرة هذا البحث لتجمع ــ قدر المستطاع ــ شتات هذه النقدات التي رمى بها ابن أبي عتيق شعر ابن أبي ربيعة مؤيداً أو مخالفاً

ومن هنا جاءت فكرة هذا البحث ليكون عنوانه :

**نقد ابن أبي عتيق لشعر عمر بن أبي ربيعة بين التذوق والتقعيد**

## أسباب اختيار الموضوع :

تعود الرغبة في كتابة هذا البحث إلى عدة أسباب :

**الأول** : التعرف على ناقد ( عتيق ) قلَّ ذكره في الأوساط النقدية البلاغية، إلا لمن نقَّب وفتَّش عن آرائه هنا وهناك.

---

(١) أبو الخطاب : عمر بن أبي ربيعة بن المغيرة بن عبدالله بن عمرو بن مخزوم القرشي الشاعر المشهور ، لم يكن في قريش أشعر منه ، وهو كثير الغزل والنوادر والمجون والخلاعة ، وله في ذلك حكايات مشهورة توفي ٩٣هـ ــ ينظر : وفيات الأعيان لابن خلكان ٤٣٦/٣ تح /إحسان عباس ــ دار صادر بيروت ــ ط ١٩٠٠م .

**الثاني** : جمع شتات نقدات ابن أبي عتيق في شعر عمر في بحث واحد؛ حتى يكون لبنة مقبولة في صرح الدراسات البلاغية ــ بإذن الله تعالى ــ

**الثالث** : إثبات عربية الجذور الأولى للنقد الأدبي مع بيان المشابهة بين هذه الجذور والتقعيد النقدي في القضايا الكلية .

**إشكالية البحث** :

يتغيا هذا البحث الوصول إلي عدة تساؤلات تنبثق عنها إشكالية البحث، من أهمها:

**أولاً** : هل كان لشعر ابن أبي ربيعة أثر في المتلقي صاحب الذائقة البيانية، بحيث ينحاز إليه ويدافع عنه؟

**ثانياً** : هل غرس ابن أبي عتيق الجذور الأولى لقضايا النقد الكبرى، قبل أن تظهر في كتب النقاد اللاحقين ؟

**ثالثا** : هل رضى ابن أبي عتيق أن يخرج ابن أبي ربيعة عن تعليم الدين في شعره حتى ولو كان على سبيل التمني؟

**الهدف من البحث** :

يتطلع البحث الوصول إلى بيان كيف كان ابن أبي عتيق يمتلك ذائقة بيانية يستطيع من خلالها بيان أوجه الجمال والقصور في شعر عمر.

ومما تجدر الإشارة إليه في هذا المقام أن هذه الدراسة اتخذت من المنهج الوصفي التحليلي طريقا لاحبأ تسير عليه في أودية هذا البحث حتى تصل إلى نهايته، وكانت خطواته متمثلة فيما يأتي:

**أولاً** : عرض أبيات عمر بن أبي ربيعة والمناسبة التي قيلت فيها.

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

**ثانياً** : بيان النقد الموجه من ابن أبي عتيق إلي أبيات ابن أبي ربيعة.

**ثالثا** : دراسة هذه النقود والوقوف على جوانب الاستحباب والكُره فيها.

**الدراسات السابقة** :

١- قرأت ــ على شبكة المعلومات الدولية ــ من خلال التعرف على الدراسات السابقة عنواناً لكتاب يحمل اسم ( ابن أبى عتيق ناقد الحجاز د : عبدالعزيز عتيق ) ولم أستطع العثور عليه بأي وجه ممكن ، ومن ثم لا علم عندي بمضمون الكتاب وما دار فيه، ولكن ذكرتُ هذا من باب الأمانة العلمية، وإن كان فيه من نقد فسيكون على سبيل الإجمال لكل من تعرض لهم ابن أبي عتيق بالنقد والتعليق، أما بحثي فتحت مظلته شاعر واحد فقط هو عمر بن أبي ربيعة.

٢- هناك مقال على شبكة المعلومات الدولية للدكتور/ شاذلي عبد الغني إسماعيل، بعنوان ( عبدالله بن أبي عتيق قراءة في نقده النظري والتطبيقي ) وقد أثبتُّ هذا المقال في مراجع البحث، وقد تعرض صاحب المقال لثلاثة مواضع فقط من نقدات ابن أبي عتيق لشعر ابن أبي ربيعة، ثم ذكر نقد ابن أبي عتيق لشعراء آخرين مثل كثير عزة، وابن قيس الرقيات ، مع ذكر رأي الفرزدق وجرير في شعر ابن أبي ربيعة .

٣- وهناك مقال آخر على شبكة المعلومات الدولية للأستاذ خليل هنداوي بعنوان : ( شخصية ناقدة يهملها النقد العربي ) تحدث فيه صاحبه عن عصر ابن أبي عتيق وثقافته، وذكر بعضاً من نقده في أبيات ابن أبي ربيعة، ولكنه أوردها كما ذكرها صاحب الأغاني بدون تعليق عليها أو دراسة حولها، ومن ثم رأى الباحث أن ما ذُكر في بعض هذه الدراسات إنما هي

إشارات هادية، وومضات خاطفة تبعث على تسليط الضوء بشيء من التوضيح والتفصيل حول تلك النقدات الموجة إلى شعر عمر خاصة؛ لتكون بحثاً مستقلاً يُرجى له القبول والنفع بإذن الله تعالى.

هذا، وقد اقتضت طبيعة البحث أن يأتي في أربعة مباحث تسبقها مقدمة وتعقبها خاتمة وبعض الفهارس.

**أما المقدمة** : فذكرت فيها أهمية الموضوع وسبب اختيار هذا البحث وإشكاليته والهدف منه والمنهج المتبع والدراسات السابقة .

**وأما المبحث الأول** فكان بعنوان: النقد التأثيري في شعر عمر بن أبي ربيعة .

**وأما المبحث الثاني** فجاء بعنوان: الجذور الأولى لعمود الشعر العربي في نقد ابن أبي عتيق .

**وأما المبحث الثالث** فعنوانه: النقد الديني في شعر عمر بن أبي ربيعة.

**وأما المبحث الرابع** فكان عنوانه: مراعاة الصدق والكذب في شعر بن أبي ربيعة.

**وأما المبحث الخامس** فجاء بعنوان: نقد ابن أبي عتيق بين تناسب المعاني وتضادها .

ثم تأتي بعد ذلك الخاتمة وفيها أهم النتائج التي رصدتها تلك الدراسة.

ثم فهرس المصادر والمراجع، وبعده فهرس الموضوعات.

**وصلي الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم**.

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

## المبحث الأول - النقد التأثيري في شعر عمر بن أبي ربيعة

ويقصد بالنقد التأثيري: ذلك النقد الذي تكون الدوافع الذاتية هي التي تتحكم فيه، بمعنى أن يكون تقويم الناقد العمل الأدبي مبنياً على أساس ما يبعثه في نفسه من تأثير، ومدى ما يستثير من ذكرياته وعواطفه الكامنة في ذاته، فهو يعتمد – إلى حدٍّ كبير– على الخلفية الاجتماعية والثقافية ، والعوامل المؤثرة في تكوين شخصية الناقد وحده، وهذا الأسلوب في النقد هو الذي نشأ مع الإنسان وغلب على حياة الناقد الأولى ، فإذا نظر الناظر في رسم ما، أو قرأ عملاً أدبياً انفعلت نفسه بما أثارته لوحة الرسام، أو صوت المنشد، أو قصيدة الشاعر، فتراه يبدي رأيه فيما انفعلت نفسه لأجله، تعبيراً عن عواطفه ومشاعره الخاصة تجاه هذا النص أو تلك القصيدة. (١)

ومن أشهر مواطن النقد التأثيري عند ابن أبي عتيق تجاه شعر عمر ابن أبي ربيعة، تلك المفاضلة التي جرت بين شعر عمر بن أبي ربيعة وشعر الحارث بن خالد، وقد روى هذه المفاضلة أبو إسحاق القيرواني فقال: وذُكر بحضرة ابن أبي عتيق شعر عمر بن أبي ربيعة والحارث بن خالد المخزومي؛ فقال رجل من ولد خالد بن العاص: صاحبنا أشعر ــ يعني الحارث ــ من عمر بن أبي ربيعة، فقال ابن أبي عتيق: بعض قولك يا ابن أخي! فلشعر ابن أبي ربيعة لوطةٌ بالقلب وعَلَقٌ بالنفس، ودَرَكٌ للحاجة، ليس لشعر الحارث، وما عُصي الله قط بشعرٍ أكثر مما عُصي بشعر ابن أبي ربيعة، فخذ عني ما أصف لك: أشعر قريش من دق معناه، ولطف مدخله،

(١) من أنواع النقد الأدبي، للأستاذ خالد المحيمد، مقال منشور في جريدة الرياض ٢٠١٢/٩/٢٧م بتصرف.

وسهل مخرجه، ومتن حشوه وتعطَّفت حواشيه، وأنارت معانيه، وأعرب عن صاحبه. فقال الذي من ولد خالد بن العاص: صاحبنا يقول:

إني وما نحَرُوا غَداَةَ مِنىً ... عِندَ الْجِمَارِ تؤودها الْعَقْلُ
لو بُدّلت أعلى منازِلِها ... سُفْلاً وَأَصْبَحَ سُفْلُهَا يَعْلُو
فَيَكَادُ يَعْرِفُهَا الْخَبِيْرُ بِهَا ... فَيَرُدُّهُ الْإِقْوَاءُ والمَحْلُ
لعرفتُ مَعْناها بما احْتَمَلتْ ... مني الضلوعُ لأهلِها قبلُ[1]

فقال ابن أبي عتيق: يا ابن أخي، استر على نفسك، واكتم على صاحبك، ولا تشاهد المحافل بمثل هذا؛ أما تطير عليها الحارث، حين قلب ربعها، فجعل عاليه سافله؟ ما بقي عليه إلا أن يسأل الله لها حجارةً من سجيل وعذاباً أليماً. ابن أبي ربيعة كان أحسن للربع مخاطبةً وأجمل مصاحبة حيث يقول:

سائِلا الرَّبعَ بالبُليِّ وقُولا ... هِجْتِ شوقاً لنا الْغَداةَ طَوِيْلَا
أيْنَ حَيٌّ حَلَّوْكَ إذْ أنتَ مَحْفُوْ ... فٌ بِهِمْ آهِلٌ أراكَ جَمِيلَا
قَالَ سَارُوا بأَجْمَعٍ فَاسْتَقَلُّوا ... وبِكُرْهِي لَو اسْتَطَعْتُ سَبِيْلا

(١) معنى تؤودها : تثقلها ، والعقل : أي وهى معقولة مقيدة ،والإقواء : من أقوت الدار بمعنى خلت من أهلها، والمَحْل: الجدب، والمغنى : المنزل ، وجواب القسم : لعرفت ... ومعنى الأبيات : أنه يقسم بالقرابين التي ينحرها الحجيج غداة منى وهى معقولة لا تستطيع التخلص مما هي فيه ، أنه لو غُيرت ديار هذه المحبوبة عن خططها المعهودة ورسومها المنشودة ، حتى جُعلت أعاليها أسافلها، وأسافلها أعاليها، لعرف منزلها المختص بها ، ومثواها الجامع لأسبابها ، وذلك لما انطوت عليه محاني ضلوعه من ودِّ أهلها أيام مواصلتها ، حتى لا يلتبس عليه شئ منها .... ينظر معاني الكلمات في: تاج العروس للزبيدي مادة ( أود، عقل، غني، قوي، محل ) تح/ مجموعة من المحققين- دار الهداية ــ وينظر : شرح ديوان الحماسة للمرزوقي ص ٨٩٩ تح /غريد الشيخ ــ دار الكتب العلمية ــ بيروت ــ لبنان ــ ط : الأولى ١٤٢٤هـ ٢٠٠٣م.

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

سَئِمُونا وَمَا سَئِمْنَا مُقَامَاً وأرادوا دَمَاثَةً وَسُهُوْلا [١]

قال: فانصرف الرجل خجلاً مذعنا.[٢]

والذي دعا ابن أبي عتيق أن يقول لولد خالد بن العاص : استر على صاحبك ولا تشاهد المحافل بمثل هذا، أن الحارث بن خالد المخزومي هنا قد خالف سنن الشعراء في ذكر الديار والوقوف عليها ؛ لأن الشعراء لهم في ذلك عادات كثيرة منها:

*** الوقوف على الديار للبكاء على ما مضى من ذكريات وتعلق بآثار من يحبون، كما في قول امرئ القيس :

قِفا نبكِ، من ذِكرى حبيبٍ، ومنزلِ بسِقطِ اللّوى بينَ الدَّخولِ، فَحَوْمَلِ [٣]

وقول أبى تمام :

لَيْسَ الْوُقُوفُ بِكُفْءٍ شَوْقِكَ فَانزِلِ تَبْلُلْ غَلِيْلاً بِالدِّمُوْعِ فَتَبْلِلِ[٤]

---

(١) الربع : المنزل ، البُلىّ : اسم موضع ، هجت شوقا: أثرته ، حلوك : أقاموا فيك ، المحفوف: الذي يدور به القوم ويلتفون حوله ، آهلا : مسكونا بأهله ، بأجمع : أي جميعا، فاستقلوا: رحلوا ، بكرهي: برغمي، سئمونا: ملونا، الدماثة: اللين والسهولة وحسن الخلق، .... ينظر معاني الكلمات في : تاج العروس مادة ( ربع ، هاج ، حل ، حف ، أهل ، جمع ، قلل ، سأم، دمث ) وينظر : ديوان عمر بن أبي ربيعة شرح د/فايز محمد ص ٣٠٠ دار الكتاب العربي – بيروت – ط : الثانية ١٤١٦هـ ١٩٩٦م.

(٢) كتاب: جمع الجوامع في الملح والنوادر لأبي إسحاق الحصري إبراهيم بن علي القيرواني (ت٤١٣هـ ) تح/ محمد العزازي ص ١٨١ وما بعدها بتصرف ، دار الكتب العلمية ، بيروت.

(٣) ديوان امرئ القيس ، تح/ عبد الرحمن المصطاوي ص ٢١ ، دار المعرفة بيروت ، ط الثانية ١٤٢٥هـ ٢٠٠٤م .

(٤) شرح ديوان أبي تمام ١٦/٢ تح/ راجي الأسمر– دار الكتاب العربي– بيروت– ط : الثانية ١٤١٤هـ ١٩٩٤م

وقول كثير عزة :

خليليّ هذا ربْـــــعُ عَـزّةَ فَاعْـقِـلَا قِلُوْصَيْكُمَا ثُـمَّ ابْكِيَا حَـيْثُ حَـلَّتِ

وَمَا كُنتُ أَدْرِي قَبْلَ عَزّةَ مَا الْبُكَا وَمَـــا مُوْجِعَاتُ الْقَلْبِ حَتَـى تَوَلَّتِ [١]

*** وإما أن يكون الوقوف لإلقاء التحية والسلام ، كقول عنترة بن شداد :

حُيِّيتَ مِنْ طَلَلٍ تَقَادَمَ عَهْدُهُ أَقْوَى وَأَقْفَرَ بَعْدَ أُمِّ الْهَيْثَمِ[٢]

وقول أبي تمام :

سَلِّمْ عَلَى الرَّبْعِ مِنْ سَلْمَى بِذِي سَلَمِ عَـلَيْهِ وَسْـمٌ مِنِ الْأَيَامِ وَالْـقِـدَمِ [٣]

وقول البحتري: هَذِي الْمَعَاهِدُ مِنْ سُعَادَ فَسَلِّمِ وَاسْأَلْ وَإِنْ وَجَمَتْ وَلَمْ تَتَكَلَّمِ[٤]

*** وإما أن يكون الوقوف على تلك الديار وهذه الأطلال للدعاء لها بالسقيا ، كما في قول امرئ القيس :

دِيارٌ لسَلمَى عَافِيَاتٌ بذِي خَالِ أَلَـحَّ عَلَيها كُـلُّ أَسْحَمَ هَـطَّالِ[٥]

وقول أبي تمام :

أَسْقَى طُـلُـولَهمُ أَجَـشُّ هَـزِيمُ وغَـدَتْ عَـلَيْهِم نَـضْـرَةٌ ونَعِـيمُ

جَادَتْ مَعَاهِـدَهُمْ عِهَادُ سَـحَابَةٍ مَا عُـهْدُهَا عِـنْدَ الدِّيارِ ذَمِيمُ [٦]

---

(١) ديوان كثير عزة ص٩٥ شرح / إحسان عباس – دار الثقافة بيروت ١٣٩١هـ ١٩٧١م .

(٢) ديوان عنترة بن شداد ص ١٨٥ تح/ محمد سعيد مولوي – المكتب الإسلامي ١٩٦٤م.

(٣) شرح ديوان أبي تمام ٩٠/٢

(٤) ديوان البحتري ص ٢٠٨٠ – شرح حسن كامل الصيرفي – المجلد الرابع – ط : دار المعارف

(٥) ديوان امرئ القيس ص : ١٣٥

(٦) شرح ديوان أبي تمام ١٤٦/٢

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

وقول البحتري :

يا دِمْـنَةً جَاذَبَتهَا الرِّيْحُ بَهْـجَتَهَـا ... تَبِـيْتُ تَنـشُرُهَا طَـوْرَاً وتطْـوِيْهَـا
لا زِلْـتِ فِـي حُـلَلٍ لِلْغَـيْثِ ضَافِيَةٍ ... يُنِـيْرُهَا الْبَرْقُ أَحْـيَاناً وَيُسْـدِيْهَـا
تَـرُوْحُ بِالْـوَابِـلِ الـدَّانِي رَوَائِحُـهَـا ... عَـلَى رُبُوعِـكِ أَوْ تَغْـدُو غَـوَادِيْهَا (١)

تلك هي عادات الشعراء في الوقوف على الديار ومخاطبة الأطـلال ، أما أن يقف الشاعر أمام هاتيك الديار فيتطير عليها ويجعل عاليها سـافلها وسافلها عاليها، بدعوى شدة معرفته بها إن أصابها عارض، فهذا مخـالف لما جرت عليه العادة من قول الشعراء في مثل هذه المواقف ، ومن ثم أمر ابن أبي عتيق ولد خالد بن العاص أن يستر على صاحبه ولا ينشد مثل ذلك في أي محفل آخر .

ويمكن القول أيضاً: إن موطن الضعف فـي أبيـات الحـارث شـديد الوضوح، لا يحتاج ناقدها أن يكون عالماً بالشعر وقواعده، بل يكفيه فقط أن يكون عارفاً بالمعنى ليدرك مباشرة الخلل الذى يجتاح الفكرة التي تحتويها، لكن الإدراك الواعي من ابن أبي عتيق برز في المـوازنة التي عقـدها بين الرجلين، ويبرز ذلك في اخـتياره أبياتاً تزيد من الإحساس بالفرق الـشاسع والـبون البعيد بين النصين، حيث اختار من شعر ابن أبي ربيعـة أبيـاتاً تتحـدث عـن الطلل أيضا، لكن عمر يمنح هذا الطلل روحاً وحياة، ويصنع معـه حواراً؛ ليصـور لنا الـمدى الذي وصـل إليه تعلـقه بهذا الربـع، ثـم المدى الـذي وصل إليه هـذا الـربع بمـن غـادروه ، حـيث إن المكان الذي عاشـوا فـيه عشقهم وهام بهم وحـزن لفراقهم ، وعـلى المتلقي بعـد ذلك أن يتخيل ما كانوا عليه من رقة وجمال جعلـت المكـان

(١) ديوان البحتري ص ٢٤١٥

حزيناً لفراقهم ، فحقا لا ينهض بمثل هذا إلا شعر له لوطة بالقلب وعلوق بالنفس. (١)

ومن النقد التأثيري الوارد في مقولة ابن أبي عتيق تجاه شعر ابن أبي ربيعة قوله : ( وما عُصي اللهُ قَط بشعرٍ أكثرَ مما عُصي بشعر ابن أبي ربيعة ) وذلك لِمَا لهذا الشعر من قوة تأثير على نفس المتلقي، بحيث يستطيع أن يُغير نفس سامعه، ويجعله يعيش اللحظة الماتعة مع ابن أبي ربيعة، ومن ثم يتمنى أن يكون له من المواقف مثل ما لعمر، وأن تتهيأ له من الأسباب ما يحاكي فعله، ويبلغ به ما بلغ ابن أبي ربيعة من مغامرات ومسامرات ، ودخول على العواتق في خدورهن والإصابة منهن، وإذا كان المتلقي امرأة كان له من التأثير عليها ما يجعلها سهلة الانقياد ، سريعة الإصغاء إلى داعي الهوي، فتطلق لنفسها عنان الحرام ؛ لتقع في شراكه وغوائله ، ومن ثم تلبي نداء الدنية ، لكل ذلك أدرك أصحاب النزعة الأخلاقية مدى تأثير شعر عمر على السامعين خاصة الشباب وربات الحجال ، فقال قائلهم : ( لا تروّوا فتياتكم شعر عمر بن أبي ربيعة لئلا يتورّطن في الزّنا تورّطا )(٢) وقال أحدهم : ( ما دخل على العواتق في حجالهنّ شيء أضرّ عليهنّ من شعر عمر بن أبي ربيعة ). (٣)

---

(١) عبد الله بن أبي عتيق قراءة في نقده النظري والتطبيقي ،د/شاذلي عبد الغني إسماعيل – مقال على الشبكة العنكبوتية – موقع الألوكة بتصرف بتاريخ ٢٠١٦/٩/٢٦م.

(٢) الأغاني لأبي الفرج الأصفهاني ٨٦/١ .

(٣) الأغاني ٨٦/١ .

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

ومع كل ذلك عندما تعرض ابن أبي عتيق لنقد شعر عمر – جملة – وقف منه موقف المعجب بشعره بصرف النظر عن مضمونه ، إدراكاً منه أن المعصية تُنسب للشعر وليس للشاعر ، وهو ما يتفق مع قول الحق سبحانه عن الشعراء : (وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ) [١] وكأنه يرى أن الشاعر لا ينبغي أن يحاسب على شعره أخلاقيا ؛ إذ ليس بالضرورة أن يفعل ما يقوله، وابن أبي ربيعة فنان وعاشق للجمال وعلينا أن نتمتع بهذا الجمال في غير حرج ، ومن هنا لم يشأ أن يسلبه الجمال الفني باعتباره شعراً له علوق بالقلوب؛ لرقة معانيه ولطف مدخله وسهولة مخارجه ومتانة حشوه، وتعطف حواشيه، وإنارة معانيه، وإعرابه عن مراد صاحبه، والناظر إلى هذه المعاني جميعها يجدها تنصب على فن الشعر وأسلوبه، من حيث المعاني الرقيقة والمنيرة، ومن حيث جودة التعبير وسلاسته، إذ يخرج شعر عمر سهلاً من اللسان لا تعثر فيه، ومن ثم يقع سهلاً في الآذان، ليلج بعدها إلى القلب دون وعورة أو إغراب، وهو مع ذلك محكم البناء متين الحشو، تتعاطف أرجاؤه لشدة التصاقها ، فكلامه يأخذ بعضه برقاب بعض كما يقولون، أو إنه متلائم غير متنافر تنافر بعر الكبش أو أولاد العلات، وهو مع هذا معرب عن الحاجة صادق الدلالة غير مقصر عن الغاية.[٢]

******

(١) سورة الشعراء : آية ٢٢٦ .

(٢) تاريخ النقد الأدبي والبلاغة حتى القرن الرابع الهجري د/محمد زغلول سلام ص٨٣ بتصرف، منشاة المعارف ،الإسكندرية.

## المبحث الثاني: الجذور الأولي لعمود الشعر في نقد ابن أبي عتيق

قبل الحديث عن الجذور الأولى لعمود الشعر الواردة في نقد ابن أبي عتيق لشعر عمر بن أبي ربيعة ، يجدر بالباحث أن يضع في طريق القارئ الكريم إشارة هادية إلى المراد من عمود الشعر لغة واصطلاحاً ، مع بيان أين ورد هذا المصطلح في كتب النقاد القدامى ، ثم ذِكْر موقف النقاد المحدثين من المراحل الأولى للنقد العربي ، ومن ثم يُقال :

العمود لغة: هو الخشبة القائمة في وسط الخباء، وجمعه في القلة (أعمدة) وفي الكثرة ( عَمَدٌ ) و( عُمُدٌ ) وعمود الأمر قوامه الذي لا يستقيم إلا به [١]

واصطلاحاً : هو طريقة العرب الموروثة في نظم الشعر من حيث وزنه وقافيته وأسلوبه لا ما أحدثه المولدون والمتأخرون [٢]

ويلاحظ هنا أن المعنى الاصطلاحي مستوحى من المعنى اللغوي ، فكما أن العمود الذي في وسط الخيمة هو الأساس الذي تقوم عليه ، فإن أصول الشعر العربي وعناصره التي يشير إليها المعنى الاصطلاحي تُعد كذلك الدعامة والركيزة التي لا يقوم نظم الشعر الجيد إلا عليها [٣]

والناظر في كتب النقد القديمة يرى أن هناك ثلاثة من النقاد القدامى تعرضوا لقضية عمود الشعر ، وذكروا المراد منه وبينوا أركانه وهم :

---

(١) العين للخليل بن أحمد ٢/٥٧: ٥٨ تح/ مهدي المخزومي وإبراهيم السامرائي – دار ومكتبة الهلال .

(٢) معجم مصطلحات النقد العربي القديم د/أحمد مطلوب ٢٩٨، مكتبة لبنان، ط : أولى ٢٠٠١م بتصرف.

(٣) عمود الشعر النشأة والتطور/أحمد بزيو مجلة الأثر العدد٢١ص٣٢ جامعة باتنة الجزائر٢٠١٤م بتصرف.

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

الأول : أبو القاسم الحسن بن بشر الآمدي (ت٣٧٠هـ ) حيث قال في كتابه ( الموازنة ) : ( وليس الشعر عند أهل العلم به إلا حسن التأتي ، وقرب المأخذ، واختيار الكلام، ووضع الألفاظ في مواضعها، وأن يورد المعنى باللفظ المعتاد فيه المستعمل في مثله، وأن تكون الاستعارات والتمثيلات لائقة بما استعيرت له وغير منافرة لمعناه؛ فإن الكلام لا يكتسى البهاء والرونق إلا إذا كان بهذا الوصف، وتلك طريقة البحتري) (١)

تلك هي الأسس التي ينبغي أن يُبنى عليها الشعر عند الآمدي، من حسن تأنٍ، وقرب مأخذ، واختيار الوضع المناسب لكل لفظ، الذي يطابق المعنى في الاستعمال المعتاد، من غير كلفة ولا صنعة، مع اللياقة في الاستعارة والتمثيل للمعنى، حتى لا يقع بينهما تأثر، وبذلك يكتسي النظم رونقًا وبهاء، وهذا هو الأصل في بلاغة الصورة، من إصابة المعنى بألفاظ سهلة بعيدة عن التكلف، لا تزيد عن الغرض، فإن اتفق للنظم معنى لطيف، زاد من روعته، وإلا – فالصورة غنية في نفسها ودلالاتها (٢)

الثاني: القاضي علي بن عبد العزيز الجرجاني (ت: ٣٦٦هـ ) في كتابه "الوساطة بين المتنبي و خصومه" حيث يقول :

( وكانت العرب إنما تُفاضل بين الشعراء في الجودة والحسن بشرف المعنى وصحّته، وجزالة اللفظ واستقامته، وتسلّم السّبْق فيه لمَنْ وصف فأصاب، وشبّه فقارب، وبدَهَ فأغزَر، ولمَن كثرت سوائر أمثاله وشوارد أبياته؛ ولم تكن تعبأ بالتجنيس والمطابقة، ولا تحفِل بالإبداع والاستعارة إذا حصل لها عمود الشعر، ونظام القريض ) (٣)

---

(١) الموازنة بين شعر أبي تمام والبحتري للآمدي ٤٢٣/١ تح/ السيد أحمد صقر – دار المعارف – ط : الرابعة ( سلسلة ذخائر العرب ٢٥)

(٢) في النقد الأدبي د/على علي صبح ص ١٦٨ .

(٣) الوساطة للقاضي الجرجاني ٣٣،٣٤ تح/محمد أبو الفضل إبراهيم- مطبعة عيسى البابي الحلبي .

من يراجع قول القاضي يدرك أن عمود الشعر وبناء القصيدة العربية القديمة عنده يعتمد أساساً على : صحة المعنى وشرفه، وجزالة اللفظ واستقامته، والإصابة في الوصف ، والمقاربة في التشبيه ، مع حسن البديهة والارتجال، وكثرة الأمثال ونوادر الأبيات .

الثالث: أبو علي أحمد بن محمد المرزوقي (ت:٤٢١ هـ ) حيث وضع في مقدمة شرح ديوان الحماسة لأبي تمام الأسس التي ينبني عليها الشعر الجيد ، مستنبطاً ذلك من جيد الشعر العربي فقال :

( إنهم كانوا يحاولون شرف المعنى وصحته، وجزالة اللفظ واستقامته، والإصابة في الوصف – ومن اجتماع هذه الأسباب الثلاثة كثرت سوائر الأمثال، وشوارد الأبيات– والمقاربة في التشبيه، والتحام أجزاء النظم والتئامها على تخير من لذيذ الوزن، ومناسبة المستعار منه للمستعار له، ومشاكلة اللفظ للمعنى وشدة اقتضائها للقافية حتى لا منافرة بينهما، فهذه سبعة أبواب هي عمود الشعر، ولكل باب منها معيار) [١] تلك هي عناصر الشعر الجيد عند المرزوقي ، ولا يخفى أنه قد تأثر بالآمدي والجرجاني في تحديد عناصر الشعر الجيد، من ذلك : شرف المعنى وصحته، وجزالة اللفظ واستقامته، والإصابة في الوصف ، مع زيادة : التحام أجزاء النظم والتئامها على تخيِّر من لذيذ الوزن ومناسبة المستعار منه للمستعار له، ومشاكلة اللفظ للمعنى وشدة اقتضائهما للقافية حتى لا تكون منافرة بينهما.

(١) شرح ديوان الحماسة للمرزوقي ص١٠تعليق/غريد الشيخ– دار الكتب العلمية– بيروت– لبنان– ط: الأولى ١٤٢٤هـ ٢٠٠٣م.

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

وبعد أن ذكر المرزوقي الأسس التي يُبنى عليها الشعر الجيد ومعيار كل منها ، بيّن أن من التزم بهذه الخصال وبنى شعره عليها استحق أن يكون مُعظماً مُقدماً، ومن نقص سهمه من هذه الخصال نقص من جودة شعره بقدر ما ترك منها ، وفي ذلك يقول : ( فهذه الخصالُ عمود الشعر عند العرب، فمن لزمها بحقها وبنى شعره عليها فهو عندهم المُفْلِقُ المُعظَّم والمحسن المُقدَّم، ومن لم يجمعها كلها فبقدر سُهمته منها يكون نصيبه من التقدم والإحسان، وهذا إجماع مأخوذ به ومُتَّبعٌ نهجُه حتى الآن) (١)

هذا ما ذكره النقاد الثلاثة حول المراد من عمود الشعر في عجالة تحتضن بين جوانبها ما يُميط اللثام ويكشف النقاب عن ماهيته وأركانه ، ليأتي بعد ذلك موقف النقاد المحدثين من المراحل الأولى للنقد العربي .

حيث يرى فريق من الباحثين يمثله د/ إحسان عباس أن المراحل الأولى من تاريخ الشعر العربي لم تعرف النقد الصحيح ؛ لأنها مرحلة اعتمدت على النظرة العامة للبيت أو القصيدة والانطباع نحوها ، دون اللجوء إلى التعليل والتصوير لما يدور في النفس، والنقد الصحيح لن يظهر إلا بظهور التفسير والتعليل والتنقيح ، وهذه خطوات لا تُغني إحداها عن أختها؛ حتى يكون النقد مؤصلاً على قواعد جزئية أو عامة، مؤيداً بقوة الملكة بعد قوة التمييز، ومثل هذا المنهج لا يمكن أن يتحقق حين يكون أكثر تراث الأمة شفوياً؛ إذ الاتجاه الشفوي لا يُمكن من الفحص والتأمل، وإن سمح بقسط من التذوق والتأثر، ولهذا تأخر النقد المنظم

(١) شرح ديوان الحماسة للمرزوقي ص١٢

حتى تأثلت قواعد التأليف الذي يهيئ المجال للفحص والتقليب والنظر، وعلى هذا فأصحاب هذا الرأي يحكمون بغياب النقد المعلل وعدم وجوده قبل القرن الثاني الهجري ؛ لعدم البدء في قواعد التدوين والتأليف (١)

وهناك فريق آخر قد قرأ النقد القديم انطلاقا من مفاهيم نقدية مستمدة من الثقافة الغربية، وانهى هذا الفريق إلى رفضه البداية الأولى للنقد العربي، مؤكداً أن النقد الممنهج لم يظهر إلا في القرن الرابع الهجري على يد الآمدي والجرجاني ، وما جاء قبل هذه المرحلة لا يعتد به في ميزان النقد الأدبي، لخلوها من وجود منهج يُعتمد عليه، وخلوها كذلك من التعليل المفصل للحكم النقدي ، ومن رواد هذه الفئة الدكتور/ محمد مندور في كتابه ( النقد المنهجي عند العرب ) ويقصد بالنقد المنهجي : ذلك النقد الذي يقوم على منهج تدعمه أسس نظرية أو تطبيقية عامة ، ويتناول بالدرس مدارس أدبية أو شعراء أو خصومات يفصل القول فيها ، ويبسط عناصرها ويبصر بمواضع الجمال والقبح فيها (٢)

وثمة فريق ثالث يرى أن النقد العربي لم يظهر إلا بظهور الفلسفة، وقد توصل لهذه النتيجة من خلال استقراء تاريخي لتاريخ النقد الأدبي في أوربا ، معللاً أن الفلسفة قد تأخر ظهورها في الثقافة العربية ، ومن ثم فمن الطبعي أن يتأخر ظهور النقد بعدها دون ريب ، ثم ذكروا أن النقد لم يظهر إلا مع ظهور الفكر الفلسفي على يد المعتزلة والأشاعرة والمتكلمين ، وعلى

---

(١) ينظر : تاريخ النقد الأدبي عند العرب د/ إحسان عباس ص١٤، طبعة دار الثقافة بيروت ، ط : الرابعة ١٤٠٤هـ ١٩٨٣م .

(٢) ينظر : النقد المنهجي عند العرب د/ محمد مندور ص ٥ وما بعدها ، طبعة دار نهضة مصر ١٩٩٦م.

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

ذلك فالنقد الممنهج لم يظهر بوضوح إلا في بدايات القرن الرابع الهجري ، وحامل لواء هذا الطرح د/ محمد غنيمي هلال في مؤلفه ( النقد الأدبي الحديث ) الصادر سنة ١٩٥٨م [١]

ومن يراجع كلام ابن أبي عتيق الذي قاله في شعر عمر بن أبي ربيعة مرة أخرى- الذي يقول فيه : ( أشعر قريش من دق معناه، ولطف مدخله، وسهل مخرجه، ومتن حشوه ، وتعطفت حواشيه، وأنارت معانيه، وأعرب عن صاحبه )- يبين له فيه أن تلك الأحكام التعليلية التي أوردها ابن أبي عتيق في نصه هذا تنقض تماماً قول الدكتور/ إحسان عباس، ومن سار على دربه- القائل بأن المراحل الأولى من تاريخ النقد العربي اعتمدت على النظرة العامة للبيت أو القصيدة والانطباع نحوها، دون اللجوء إلى التعليل والتفسير؛ معللاً ذلك بأن تراث الأمة قبل القرن الثاني الهجري كان شفوياً، والاتجاه الشفوي لا يُمكن من الفحص والتأمل – لأن ابن أبي عتيق هنا لم ينظر إلى بيت وحيد أو قصيدة منفردة من شعر ابن أبي ربيعة، وإنما حكم بأفضلية شعر عمر قاطبة دون النظر إلى بيت أو قصيدة ، ثم ذكر أسباب هذه الأفضلية، وعلة تلك الجودة في شعر عمر على وجه العموم، ثم هو لم يقتصر في حكمه على المعاني فقط ، وإنما قرن بها الألفاظ التي تعرب عن معانيها .

كما ينقض نقد ابن أبي عتيق- أيضاً- قول الدكتور/ محمد مندور، القائل : بأن النقد الممنهج القائم على التعليل المفصل للحكم النقدي لم يظهر إلا على يد الآمدي والجرجاني ؛ لأن ابن أبي عتيق في نصه السابق قد بيَّن

(١) ينظر : النقد الأدبي الحديث د/ محمد غنيمي هلال ص ١١ ، ٢٣ ، ١٥١، طبعة دار الثقافة بيروت .

حيثيات الأفضلية التي وسم بها شعر ابن أبي ربيعة ، وأظهر علة تفوقه على شعراء قريش ، وهو الأسبق زماناً من الآمدي والقاضي الجرجاني ، حيث تُوفي ابن أبي عتيق – رضى الله عنه- سنة (١١٠هـ ) بينما تُوفي الآمدي سنة (٣٧٠هـ ) والجرجاني سنة (٣٦٦هـ ) وعليه فالقول بأن الأحكام النقدية المعللة لم تظهر إلا على يد الآمدي والجرجاني قول تنكب جادة الصواب ، أخطأ طريق الحقيقة .

ومثلما نقض قول ابن أبي عتيق مذهب كلٍّ من د/ إحسان عباس ومحمد مندور في زمانية ظهور النقد العربي المعلل = نقض كذلك مذهب الدكتور/محمد غنيمي هلال الذي رأى أن النقد العربي لم يظهر إلا مع ظهور الفكر الفلسفي على يد المعتزلة والأشاعرة ، وذلك في بدايات القرن الرابع الهجري ؛ لأن ابن أبي عتيق في نقده هذا قد انتقل بالنقد في عصره من الملاحظات النقدية التي كانت مبنية على الذوق والفطرة فقط، إلى الفكر التحليلي والأحكام المعللة ، فبعد أن كنا نسمع أحكاماً عامة حول الشعراء، كقول أحدهم : فلان أشعر من فلان ، أو: فلان أشعر العرب، من دون تحديد لأسباب تلك الأفضلية، أصبح النقد عند ابن أبي عتيق أحكاماً مفصلة لها أسبابها وحيثياتها[١] وكل ذلك كان في القرن الأول الهجري، وعليه فالقول بأن النقد العربي القائم على التحليل والتفصيل لم يظهر إلا في بدايات القرن الرابع الهجري مع ظهور الفكر الفلسفي، قول واهٍ مبني على حجة داحضة .

كما أن الحكم النقدي الذي أورده ابن أبي عتيق واسماً به شعر عمر بن أبي ربيعة، يُعدُّ من البذور الأولى لقضية عمود الشعر العربي التي

(١) ينظر : تاريخ النقد الأدبي عند العرب د/عبدالعزيز عتيق ص ١٢٣ دار النهضة العربية بيروت ١٣٩١هـ ١٩٧٢م .

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

ظهرت وتأصلت بعد ذلك في العصر العباسي؛ وذلك لأنك إذا نظرت إلى أقوال النقاد الذين بينوا عمود الشعر وأركانه ، تراهم قد جعلوا من أركانه :

صحة المعنى وشرفه ، وجزالة اللفظ واستقامته، والإصابة في الوصف، والمقاربة في التشبيه ، وقرب المأخذ، ومشاكلة اللفظ للمعنى، والتحام أجزاء النظم والتئامها مع تخير من لذيذ الوزن.. وتلك لعمرى نابتٌ أكثرها من بذور ابن أبي عتيق التي غرسها في ساحة النقد الأموية، واستنبتها بعده نقاد الدولة العباسية؛ لأن ابن أبي عتيق قد جمع في نصه السابق- أشعر قريش من دق معناه، ولطف مدخله، وسهل مخرجه، ومتن حشوه ، وتعطفت حواشيه، وأنارت معانيه، وأعرب عن صاحبه- كثيراً من عناصر الشعر التي ظن كثير من الدارسين المحدثين، أنها لم تظهر إلا في القرنين الثالث والرابع الهجريين ... وذلك لأن في النص ذكراً لعنصر المعنى مرتين:

أولهما- من حيث دقة المعنى، وأخراهما: من حيث إنارة المعاني ... وبينهما في الظاهر شبه تضاد؛ لأن دقة المعنى تعني خفاءه وتلفعه، وإنارة المعاني تعني وضوحها وإشراقها ...هذا ما يسبق إلى الفهم، ولكن عند التحقيق يبين أن الدقة والخفاء تحولهما الصياغة المصورة إلى إشراق ووضوح.

فالمسألة هنا تتوقف على الموهبة المدربة التي تعبر عن المعاني الدقيقة الغريبة في ثوب قريب مألوف ... ولعل هذا هو الذي لمحه الإمام عبد القاهر في حديثه عن عبقرية البحتري حيث قال: "وإنك لا تكاد تجد شاعراً يعطيك في المعاني الدقيقة من التسهيل والتقريب، وردّ البعيد إلى المألوف القريب، ما يُعْطي البحتريُّ، ويبلغ في هذا الباب مبلغه، فإنه لَيروض لك

المُهْرَ الأرِنَ رياضةَ الماهر،حتى يُعْنِق من تحتك إعناقَ القارِح المذلَّل، وينزِعَ من شِمَاس الصعب الجامح، حتى يلين لك لِينَ المنقاد الطَّيع"(١)

ويلاحظ في النص السابق أن ابن أبي عتيق التفت إلى لغة قريش وجعل المعيار اللغوي أساساً للحكم النقدي الذي أراده ، وجعل السمات اللغوية التي تلمسها في شعر عمر ابن أبى ربيعة معياراً عاماً للتمييز بين شعراء قريش ، فأشعر قريش عنده من يكون معناه دقيقاً في تصوير ما يريد، وفي التعبير عن مشاعره ، لأن شعر الغزل يتشابه في إطاره العام الذي يدور فيه ، لأنه في مجمله حديث عن صفات المرأة والتعلق بها وما يناله الرجل من هواها ، ويكمن تمييز الشاعر فيه في دقة أدائه وهو يتحدث عن موضوع كثر فيه كلام الشعراء (٢)

ومن ثم لما أنشد ابن أبي ربيعة أمام الفرزدق قصيدته التي يقول في مطلعها :

فلما الْتقَيْنا واطْمَأنتْ بِنا النَوَى وغُيِّبَ عنَّا مَنْ نخَافُ ونَشْفِقُ
أخَذْتُ بِكَفِّي كَفَّهَا فَوَضَعْتُهَا على كَبدٍ مِنْ خَشْيةِ الْبَيْنِ تَخْفِقُ
فَقالتْ: أرَى هَذا اشْتِيَاقاً وَإنَمَا دَعَا دَمْعَ ذِي الْقَلْبِ الْخَلِيِّ التشَوُّقُ (٣)

(١) أسرار البلاغة للإمام عبد القاهر الجرجاني ص ١٤٦ تح/ محمود محمد شاكر، مطبعة المدني القاهرة ، دار المدني بجدة

(٢) النقد في العصر الأموي – د/ حبيب الكريطى ص٣ – قسم الدراسات القرآنية واللغوية- جامعة النجف العراق

(٣) اطمأنت بنا النوى : أقمنا على قرب متجاورين، ينظر: تاج العروس ( نوى ) وديوان عمر بن أبي ربيعة ص٢٤١

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

صاح الفرزدق – بعد أن فرغ منها – قائلاً : أنت والله يا أبا الخطاب أغزل الناس! لا يحسن والله الشعراء أن يقولوا مثل هذا النسيب ، ولا أن يرقوا مثل هذه الرقية [١] وعليه فالحديث عن المعنى وصحته الذي ذكره القاضي الجرجاني ، وأكد المرزوقي كونه من عمود الشعر ، سبق به ابن أبي عتيق بجعله معياراً نقدياً قدم به شعر ابن أبي ربيعة على غيره .

ثم دلف ابن أبي عتيق – في نصه السابق – يتحدث عن سلاسة العبارات ، وقدرة عمر بن أبي ربيعة على اقتناص المدخل الذي يجذب به القارئ إلى نصه الشعري بلطف وسهولة ، بحيث يُعايش المستمع النص من بدايته حتى نهايته ، وهو في حالة شعورية مأخوذ بما فيه من رقة وعذوبة وجمال تصوير [٢] ولعلّ هذا ما جعل أحد معاصري عمر يقول عن شعره : ( لو كان شعر يسحر لكان هو ) [٣] ، وهذا ما عبر عنه ابن أبي عتيق في نصه بقوله : ( أشعر قريش من دق معناه ولطف مدخله وسهل مخرجه) ومن يُطالع ما كُتب عن لطافة المدخل وسهولة المخرج في كتب النقاد الأُول، يسهل عليه أن يحس سريان أنفاس ابن أبي عتيق في كلام المرزوقي عندما تحدث عن مذاهب نقاد الكلام في شرائط حسن اختياره ، وجعلوا من شرائط الحسن ( تلطيف المطلع وتتميم المقطع ) [٤]

---

(١) الأغاني لأبي الفرج الاصفهاني ١٣٨/١ بتصرف

(٢) عبد الله بن أبي عتيق قراءة في نقده النظري والتطبيقي د/ شاذلي عبد الغني إسماعيل ص٣ بتصرف – مقال على شبكة الإنترنت .

(٣) الأغاني ٨٨/١ .

(٤) شرح ديوان الحماسة للمرزوقي ص٩ .

والمراد بـــ ( تلطيف المطلع ) أي جعله لطيفاً، أي رقيقاً حسناً أنيقـــاً، لأن مطلع القصيدة أو ما يقرع فهم السامع أو المُطَالِع، فإذا كان حسناً بديعاً استجلبه للإقبال علي بقيته بالنظر والإصغاء، ومن ثم قـــال بعـــض علمـــاء البيان : ( أحسنوا معاشر الكُتَّاب الابتداءات فإنهن دلائل البيان ) [١] ومعلوم أن أحسن مطالع القصائد ما كان يلفت نظر السامع إلى ما بعده ، بألا يكون من المطالع المعتاد تكرارها من غير المُجدين ، ومن هنا ينبغـــي أن يكـــون المطلع عزيزاً غير مطروق ، وذلك في الألفاظ المُفتتح بها ، فإذا انضم إليها عزة المعنى فقد استوفى المطلع الحسن [٢]

والمقطع في قوله : ( وتتميم المقطع ) اسم مكانِ القطـــع ،أي قطـــع الكلام بمعنى ختمه وتَنْهِيَتُه ، ومعنى تتميمه : أي جعله تاماً بحيث لا يترقب السامع شيئاً بعده [٣]

كما سرت أنفاس ابن أبي عتيق إلى أسامة بن منقذ ( ت ٥٨٤هـ ) في كتابه : البديع في نقد الشعر، عندما تحدث عن المبادئ والمطـــالع مطالبـــاً الشاعر أن يحسن ابتداء مطلع القصيدة ؛ لأنها دليل بيانه وأن يتحـــرز فـــي ابتداءاته مما يتطير منه [٤]

---

(١) الجامع الكبير في صناعة المنظوم من الكلام والمنثـــور المنســـوب لضـــياء الـــدين بـــن الأثير(ت٦٣٧هـ ) ص١٨٧ تح/ مصطفى جواد- مطبعة المجمع العلمي - ١٣٧٥هـ.

(٢) شرح المقدمة الأدبية لشرح الإمام المرزوقي على ديوان الحماسة لأبي تمام للشيخ الطاهر بن عاشور ص٣٨ بتصرف – الدار العربية للكتاب- ليبيا- تونس- ط : الثانيـــة ١٣٩٨هـ ١٩٧٨م .

(٣) السابق ص ٣٧ بتصرف .

(٤) ينظر : البديع في نقد الشعر لأسامة بن منقذ ص٢٨٥ تح/أحمد أحمد بدوي- الجمهوريـــة العربية المتحدة- وزارة الثقافة والإرشاد القومي .

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

ومن لطافة المطلع في شعر عمر بن أبي ربيعة قوله :

أَعَاتِكَ مَا يَنْسَى مودَتكِ القَلبُ ... وَلَا هُوَ يُسْلِيْهِ رَخَاءٌ وَلَا كَرْبُ
وَلَا قَوْلُ واشٍ كَاشِحٍ ذِي عَدَاوةٍ ... وَلا بُعْدُ دَارٍ إنْ نَأَيْتِ وَلا قُرْبُ
وما ذاكَ مِنْ نُعْمَى لَدَيْكِ أَصَابَهَا ... وَلَكِنَّ حُبّاً لا يُفَارِقُهُ حُبُّ [١]

وكما تحدث ابن منقذ عن حسن الابتداء المعبر عنه من أبي عتيق بقوله : (لطف مدخله) تحدث أحمد بن يحي المعروف بـ (ثعلب) في (قواعد الشعر) عن حُسن الخروج ، وذكر أن من إجادة الشاعر أن يخرج من معنى إلى آخر بدون أن يقول : دع ذا ، وعدِّ عن ذا [٢]

من أمثلة حسن الخروج في شعر ابن أبي ربيعة قوله :

يا خَلِيْلَيَّ مِنْ مَلَامِ دَعَانِي ... وَألَمَّا الغَدَاةَ بِالْأَظْعَانِ [٣]

حيث خرج من ترك اللوم والعتاب إلى قصد النساء الحسناوات والتمتع بالنظر إليهن قبل رحيلهن عن الديار، بدون تكلف أو عناء ، ومثله قوله :

يا خَلِيْلَيَّ قَرِّبَا لِيْ رِكَابِي ... واسْتَرا ذاكُمَا غَداً مِنْ صِحَابِي
وَاقْرَءَا مِنِّي السَّلامَ عَلَى الرَّسْـ ... ـمِ الَّذِي مِنْ مِنًى بِجَنبِ الْحِصَابِ [٤]

---

(١) ديوان عمر بن أبي ربيعة ص٧٦.

(٢) ينظر : قواعد الشعر لأبي العباس المعروف بثعلب ( ت ٢٩١هـ ) ص٥٦ تح/ رمضان عبد التواب – مكتبة الخانجي – القاهرة – ط : الثانية ١٩٩٥م .

(٣) الملام : اللوم ، دعاني: اتركاني ، وألمَّا : اقصدا زائرين ، الأظعان : النساء المحملات في الهوادج بقصد الرحيل ، ينظر: تاج العروس :( لوم، دعو، لمم ، ظعن) وديوان عمر بن أبي ربيعة ص ٣٧٧ .

(٤) الرسم : ما بقي لاصقاً بالأرض من آثار الديار ، الحِصاب: موضع رمي الجمار بمنى ، ينظر : تاج العروس: ( رسم ، حصب ) وديوان عمر بن أبي ربيعة ص٦٦

حيث خرج من خطاب صاحبيه وما طلبه منهما، إلى السلام على طلل المحبوبة التي بمنى فى يُسر وسهولة ، وهذا وأمثاله هو ما أراده ابن أبي عتيق بقوله : ( وسهل مخرجه ) .

أما قوله : ( ومتن حشوه) فالمراد به تماسك بنية النص عبر الترابط والتكامل والانسجام التام بين مفرداته وعباراته وصوره ، حتى تستشعر حسن تماسك الألفاظ مع بعضها داخل السياق بما يظهرها متينة قوية ، آخذ بعضها برقاب بعض لا يبدو فيها لفظ ناب عن إخوانه ، فليس في أبيات عمر حشو غير مفيد جئ به لإقامة الوزن ، أو للوصول إلى القافية ، لا ، وإنما حشو أبياته قوي شديد ، ومتين سديد ، لا ينهض معنى البيت إلا به ، ولا يقوم مقامه غيره إن حُذف منه ، ثم يأتي قوله : ( وتعطفت حواشيه ) ليؤكد دلالة المعنى السابق وجماله ، فتعطف الحواشي يعني : انسجام أوائل الألفاظ مع أواخرها ، إذ تكتمل دلالة اللفظة بعلاقتها مع أخواتها ، بحيث تُعطف الواحدة على الأخرى بما يُظهر جمال الجميع ، والحقيقة أن هذا الأمر من سمات شعر عمر ، الذي يعتمد كثيراً على القصة في شعره ؛ ليضفي مزيداً من التماسك والوحدة على نسيج النص [١]

ولا يخفى على بصير هنا أن قول ابن أبي عتيق : ( متن حشوه وتعطفت حواشيه) الذي جعله معياراً من المعايير التي تفوق بها شعر عمر على غيره ، هو ما قاله المرزوقي بمعناه حين ذكر عمود الشعر وعبر عنه بـ ( التحام أجزاء النظم والتئامها على تخير من لذيذ الوزن ) ، إذاً ما قرره المرزوقي في القرن الرابع هو نتاج ما غرسه ابن أبي عتيق في روضة النقد الأموي في القرن الأول .

(١) عبد الله بن أبي عتيق قراءة في نقده النظري والتطبيقي ص٣ بتصرف .

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

لقد كان ابن أبي عتيق في ذلك النص ناقداً متميزاً، وكان مدركاً أسباب جودة النظم وتفوقه على غيره ، إذ لم يقتصر كلامه على المعاني فقط، وإنما قرن بها الألفاظ التي تعرب عن مضمونها ، وتحسن الكشف عما يُراد بها ؛ لتكون أداة الشاعر الأمينة التي تنقل في صدقٍ وجلاءٍ حسنٍ وتأثيرٍ بيِّنٍ ما في نفسه من فكر وعاطفة وانفعال إلى نفوس الناس من حوله، ومن ثم كان لزاماً على الشاعر عنده أن يقرن بين حسن اختيار المعنى بحسن انتخاب اللفظ وذلك ما أشار إليه بقوله: ( أنارت معانيه وأعرب عن حاجته) كما أن هذا النص النقدي يُعدّ من النصوص النقدية المهمة ، إن لم يكن أهمها في العصر الأموي، حيث كشف فيه صاحبه – في وقت مبكر جداً –عن المقاييس العامة للشعر الجيد والشاعر الجيد، ومن ثم أصبح الشكل والمضمون مترابطين ترابطا تاماً في جيد الشعر عند ابن أبي عتيق [١]

ولعل ما مضى من صفحات في هذا المبحث يكون إشارة هادية كافية في إثبات أن جذور عمود الشعر العربي الذي ظهر في القرن الثالث وتأصلت أركانه في القرن الرابع = إنما غُرست ونبتت قبل ذلك بثلاثة قرون في العصر الأموي على يد ابن أبي عتيق الذي امتاز نقده برقته الحجازية ، معتمداً في ذلك على ذوقه الفطري وثقافته الأدبية الواسعة .

*****

(١) نقد النص الأدبي حتى نهاية العصر الأموي، د/ فضل ناصر حيدرة ص ٢١٤ بتصرف – كلية الآداب جامعة الكوفة ١٤٢٤هـ ٢٠٠٣م .

## المبحث الثالث- النقد الديني في شعر عمر ابن أبي ربيعة

لم يكن ابن أبي عتيق يرضى من ابن أبي ربيعة أن يخرج عن تعاليم الدين الحنيف في شعره، حتى لو كان ذلك على سبيل التمني، سواء أكان ذلك الخروج متمثلاً في اقتراف الزلات في موطن العبادة والطاعات، أم كان في فحش القول وكشف ما يجب ستره، ومن ثم كان يقف له عند كل قول يخرجه من دائرة الطاعة ويدخله باب العصيان.

ومعلوم أن ابن أبي ربيعة لم يقف في شعره عند حدٍّ معين ينتهي إليه في التغزل والتشبيب بالحسناوات، ولم يمنعه من ذلك تهديد الخلفاء، أو تهديد أصحاب الغيرة على الحرمات، ولم يرعو عن ذلك حتى في أقدس الأماكن وأطهر الحرمات ، من ذلك أنه كان يترقب موسم الحج ؛ ليتغزل بالغاديات والرائحات ، وكان يرى في موسم الحج معرضاً للجمال والفتون ، ومن ثم كان يلبس أبهى الحلل ، ويركب النجائب المخضوبة بالحناء، ويتصدى للنساء ويطارحهن الغرام، ويحكي في شعره طرفاً من مواقفه معهن، وقد بلغ من عبثه وغزله أن نفرت كلُّ حَصَانٍ رزانٍ من الحج ، وأبى أحرار الرجال على نسائهن تأدية هذه الفريضة ما دام هذا الشاعر المخزومي موجوداً في تلك الأماكن المباركة ، أما ابن أبي ربيعة فقد شاقته هذه الأماكن بما فيها من الحسناوات الوافدات على بيت الله الحرام ، فتمنى لو أن الحج كان مستمراً طوال السنة[١] فقال :

أيهـا الرائحُ المُجِدُّ ابْتِكارَا ... قَدْ قَضَى مِنْ تِهَامَةَ الْأَوْطَارَا
مَنْ يكنْ قلْبُهُ صَحِيْحَاً سَليماً ... فَفُؤَادِي بالْخَيْفِ أمْسَى مُعَارَا

(١) ينظر: لمحات نقدية في نص شعري لعمر بن أبي ربيعة، د/ علي محمد طلب ص٩ وما بعدها، مجلة كلية اللغة العربية بأسيوط، العدد٢٣ ــ ٢٠٠٤

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

لَيْتَ ذا الحجَ كانَ حَتمَاً عَلَيْنَا كـلَّ شَهْرِينِ حجةً واعْتِمارَا[١]

وراجع قوله: " ليت ذا الحج كان حتما علينا ....الخ البيت" تجد أن في (ليت) ظمأً لا يُروى ؛ لأنها هنا تصف آمالاً حبيسة ورغائب لا سبيل إلى تحقيقها عند عمر، ومعلوم أن إيغال الرغائب في البعد مما يزيد النفس بها تحرقًا واستعارًا، ولا يخطئك أن تحس الرغبة المحمومة وراء قوله هذا ، وكيف تتعلق بها نفسه[٢] ولكن أنى يكون له ذلك وقد كتب الله الحج على عباده كل عام مرة لمن استطاع إليه سبيلا ؟ ومن هنا لما سمع ابن أبي عتيق قوله هذا قال له : " الله أرحم بعباده أن يجعل عليهم ما سألته ليتم لك فسقك [٣].

وهنا نرى ابن أبي عتيق قد كره أمنية صاحبه واستنكر منه طلبها – مع علمه أنها مستحيلة الوقوع – ولم يرض منه ذلك؛ لأنه بهذا يكلف المسلمين شططاً، مع أن الله الذي فرض الحج عليهم لم يطلب منهم أداءها إلا مرة واحدة في العمر، ومن ثم استجلبت هذه الأمنية لابن أبي ربيعة الوصف بالفسق فقال له: الله أرحم بعباده أن يجعل عليهم ما سألته ليتم لك فسقك.

---

(١) المجد ابتكارا: الذاهب في وقت مبكر جدا، تهامة: اسم موضع بالجزيرة العربية، الأوطار: جمع وطر وهو: الحاجة، الخيف موضع من منى قرب مكة ، ينظر : تاج العروس :( بكر ، تهم ، وطر ، خيف ) وديوان عمر ابن أبي ربيعة ص١٦٧

(٢) دلالات التراكيب د/ محمد أبو موسى ص٢٠٣، ٢٠٤ بتصرف، مكتبة وهبة، ط الرابعة ١٤٢٩هـ ٢٠٠٨م.

(٣) حب ابن أبي ربيعة وشعره ــ لزكي مبارك ص٩٢ــ مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة ٢٠١٢م.

وكأن ابن أبي ربيعة قد جدَّ واجتهد في إظهار المعصية في شعره وفعله، فضَّمنه كلَّ صنوف الفسق والمجون، حتى قارب مِكْتَلُه منها على التمام، ولم يبق له شيء يتمه به إلا أن يجعل الله أمر الحج والعمرة كل شهرين؛ لا ليزداد فيهما قرباً وتعبداً وتنسكاً واجتهاداً في العبادة، بل ليزداد تمتعاً بالنظر إلي الحسان والحديث إليهن، مخالفاً بذلك الغرض المؤم من الحج .

وإذا كان الناس ينظرون إلي الحج على أنه المتمم لأركان الإسلام، والسبب في محو الذنوب والآثام، فإن ابن أبي ربيعة ينظر إلى الحج نظرة أخرى، حيث يراه موسماً متمماً لشهوات نفسه، ومكملاً رغباتها الدونية من النظر والكلام والهيام ، دون أي اعتبار لانتهاك المحرمات وارتكاب المنهيات، ودن مراعاة لطهارة تلك الأماكن والخوف من ارتكاب المعاصي فيها ، متناسياً بذلك قوله –تعالى–: (وَمَنْ يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ بِظُلْمٍ نُذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ)[١] ولكن هذه الأمنية دليل صادق على أن ابن أبي ربيعة من الشعراء الذين قال الله في شأنهم: (أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ)[٢] فلا فرق عنده بين نجدٍ وعرفات في اقتراف السيئات وهتك الحرمات، المهم أن يشبع رغباته ويروي ظمأ شهواته دون النظر إلى حرمة المكان أو الزمان .

فإن قال قائل : لعلَّ ابن أبي ربيعة في قوله :

**ليت ذا الحجَ كان حتماً علينا كلَّ شهرينِ حجةً واعتمارا**

لم يكن يتمنى أن يصير ذلك حقيقة واقعية، بحيث يصير أمر الحج مكتوباً على المسلمين كل شهرين مرة؛ لأنه يعلم أنه أمر مستحيل الوقوع ،

(١) سورة الحج: من الآية ( ٢٥ ).
(٢) سورة الشعراء: الآية (٢٢٥ ).

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

وإنما كان يرمز بهذا التمني إلى رغبته الشديدة في أن تقصر تلك المدة التي تتيح له أن يلتقي بهؤلاء النسوة اللاتي يتوافدن على بيت الله الحرام ؛ ليمتع ناظريه برؤيتهن غاديات ورائحات في هذه المشاهد المقدسة، ويمتع قلبه بالحديث إليهن والقرب منهن ... قيل : لا بأس بذلك ، ولكنه في تمنيه هذا يخالف تعاليم الدين الحنيف التي تطلب من المسلم حفظ جوارحه في هذه البقاع الطاهرة التي يؤاخذ فيها المسلم على مجرد الهم بالمعصية وإرادتها ، فضلا عن الفعل الواقع بها والقول المباشر عنها ... ومن هنا وصفه ابن أبي عتيق بالفسق الصريح لإيغاله في تمني المعصية وتقصير مدتها.

وإذا كان ابن أبي عتيق قد كره من عمر أمنيته أن يكتب الله الحج على عباده كلَّ شهرين؛ ليزداد تمتعاً بالنظر إلى الحسان ومحادثة الغاديات والرائحات في مناسك الحج، فإنه كذلك يستقبح منه التعبير الصريح الذي يدل على الفحش والمجون، من ذلك لما سمع عمر بن أبي ربيعة يقول:

صَرمتْ حَبْلَكَ الْبَغُومُ وصدَّتْ ... عنكَ في غيرِ ريبةٍ أسماءُ
والغوَانِي إذا رَأيْنَكَ كَهْلاً ... كانَ فِيْهِنَّ عن هَوَاكَ التواءُ
حَبَّذا أنتِ يا بغومُ وأسما ... ءُ وَعِيْصٌ يُكنَّا وخَلاءُ[1]

قال له: "ما أبقيت شيئاً يُتمنى يا أبا الخطاب إلا مرجلاً يسخن لكم فيه الماء للغسل"[2]

---

(١) صرمت حبلك: صدت عنك وقطعت الصلة بك، والبغوم: اسم امرأة صوتها فيه رقة ولين، والريبة: الشك، التواء: انحراف وترك، العيص: الشجر الكثيف الظلال، والخلاء: المكان غير المأهول. ينظر : تاج العروس :( صرم ، بغم ، ريب ، لوو ، عيص ، خلو ) وديوان عمر ابن أبي ربيعة ص٣٦.

(٢) الأغاني لأبي الفرج الأصفهاني ١/١٥٠.

ولعل الذي دعا ابن أبي عتيق إلى أن يسلط سيف نقده على عاتق أبيات ابن أبي ربيعة هو أنه نظر في بيته الأخير فرآه قد احتضن بداخله من الفحش والخنى، وسوء المجون والتهتك ما لا سبيل إلى الصبر عليه، كيف وقد رأى صاحبه قد جنح به خياله فتمنى أن يجمع بين يديه امرأتين هما : البغوم وأسماء؟ والبغوم: هى صاحبة الصوت الرقيق اللين[١]، ثم لم يكتف بأن يكون هو والمرأتان معاً ولسان حاله :

"نَـقَضِّـي لَبَانَاتِ الفُـؤادِ المُعَـذَّبِ"[٢]

وإنما أراد أن يضم ثلاثتَهم مكان ذو شجر كثيف ملتف ، لا يوجد به أحد يرقبه أو يراه.

وهنا نظر ابن أبي عتيق فرأى المشهد أمامه قد اكتمل، حيث رجل وامرأتان في رقعة خضراء كثيفة الظلال لا يوجد بها أحد، إذاً فليس ثمة مانع من تلبية نداء الشهوة – التي لم تقيد بوازع الدين – وعليه فلم يبق له بعد هذه التلبية إلا المرجل، وهو: القدر الذي يسخن فيهالماء[٣] لتكون أدوات اللقاء الحميم بين الرجل والمرأة قد اكتملت دون أن يُترك منها شيء .

ولا يخفى هنا استقباح ابن أبي عتيق صورة الفحش التي يأباها الدين الحنيف، فهو لا يرضى من عمر أن يخرج عن القيم الأخلاقية المطلوبة،

---

(١) ينظر : تاج العروس للزبيدى٣١/٢٩٢

(٢) شطر بيت لامرئ القيس أوله : خليليّ مُرا بي على أمِّ جُندبِ .... ديوان امرئ القيس ص٧٤

(٣) تهذيب اللغة للأزهري١٢/١١٥ تح/محمد عوض ، دار إحياء التراث العربي بيروت، ط : الأولى ٢٠٠١م

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

سواء أكان ذلك على مستوى الواقع المعاش، أم على المضمون الشعري المعبر عن هذا الواقع.(١)

فإن قيل هنا – أيضا – : من الممكن أن يكون قول ابن أبي ربيعة :

حبذا أنتِ يا بغومُ وأسما ءُ وَعِيْصٌ يُكنّنا وخَلاءُ

ليس من باب التمني حقيقة ؛ لأنه يعلم أن هذا لا ترضى به أي امرأة تحافظ على شرفها وسمعة أهلها ، فضلاً عن أن تكون شريفة في قومها – لأن ابن أبي ربيعة كان لا يتغزل إلا بالنساء اللاتي من عِلْيَة القوم – وإنما قوله هذا رمز إلى قُربٍ لا يُكدره عذول ، ووصلٍ لا يُداخله هجر ، وظلٍ لا يزاحمه هجير ، وصفاء لا يعكره البعاد، تلك هي أماني المحب عند لقائه بمن أحب ، دون النظر إلى شيء آخر، كما قال ابن أبي عتيق ...

قيل في الجواب على ذلك : إن غيرة ابن أبي عتيق ينبغي أن تُفهم في ضوء غيرة رجال ذلك الزمان على المجتمع المسلم من أن تشيع فيه مثل هذه القالات الفاحشة ، حتى لا يتحول عصر التابعين في بلد هي منبع الإسلام، إلى ما يحاول كثير من المؤرخين غير المحققين إسناده وإلصاقه بذلك العهد الشريف مما لا ينبغي أن يكون فيه .

ولم يقف الأمر عند ابن أبي عتيق على استقباح الفحش من صاحبه وعتابه على ذلك، بل لم يرض من عمر أن يتغزل في زينب بنت موسى الجمحية – وهى ابنة عم ابن أبي عتيق – وذلك حين ذكرها يوماً عند عمر

(١) الفصل بين الشعر والدين في التراث النقدي عند العرب ، كامل يوسف عتوم ص٢٦ بتصرف بحث منشور في المجلة الأردنية في اللغة العربية آدابها ، المجلد( ٣ ) العدد ( ٢ ) ١٤٢٨هـ ٢٠٠٧م

فأطراها ووصف من أدبها وعقلها وجمالها ما شغل قلب عمر وأماله إليها ، فقال فيها الشعر وشبب بها، فبلغ ذلك ابن أبي عتيق فلامه على ذلك وقال له: أتنطق الشعر في ابنة عمي ؟ (١) إلا أن عمر لم يستجب لهذا الإنكار، وأخذ يلقي اللوم على عاتق صاحبه؛ لأنه هو الذي أفاض في حسنها أمامه، حتى ملكت عليه فؤاده واستقرت في سويداء قلبه، ومن ثم قال له:

لا تَلُمْنِي عَتِيْقُ حَسْبِي الذَّي بِي  إنَّ بِي يا عَتِيْقُ مَا قَدْ كَفَانِي

لا تلُمْنِي وَأنتَ زيَّنتها لِي .... (٢)

وهنا بدره ابن أبي عتيق فقال: ( أنتَ مثلُ الشيطانِ للإنسانِ) فقال عمر: هكذا وربّ البيت قلته(٣) فقال ابن أبي عتيق : إن شيطانك ورب القبر(٤) ربما ألمَّ بي فيجد عندي من عصيانه خلاف ما يجد عندك من طاعته، فيصيب مني وأصيب منه.(٥)

ويبين هنا كيف توافق توارد الخواطر، ووقوع الحافر على الحافر – كما يقولون– بين ابن أبي عتيق وبين صاحبه عمر في نهاية الشطر الثاني من البيت "أنتَ مثلُ الشيطانِ للإنسانِ" وقد برَّرها ابن أبي عتيق بأن شيطان عمر ربما ألمَّ به وأحاط به؛ ليشغله ويلهيه ، كما يُلم بعمر ويغويه ، ولكنه لا يجد عند ابن أبي عتيق إلا عصيان الهوى، والاستيلاء على زمام النفس وكبح جماحها، فلا مكان لموافقةٍ او اتباع، وإنما له عنده مصارمة ومخاصمة وانقطاع .

---

(١) ينظر: زهر الآداب وثمر الألباب لابن تميم الأنصاري ٢٩٣/١ دار الجيل ، بيروت.
(٢) ديوان ابن أبي ربيعة ص٣٧٨.
(٣) يقصد بالبيت هنا: الكعبة المشرفة .
(٤) رب القبر: قسم لأهل المدينة، ويقصدون بالقبر قبر النبي – صلى الله علي وسلم.
(٥) الأغاني لأبي الفرج الأصفهاني ١٠٢/١ بتصرف .

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

والمراد بقوله: فيصيب مني: أي بإلقاء الوساوس وتزيين الشهوات، ومعنى وأصيب منه: أي: أخالفه بترك المنكرات واجتناب المنهيات ، وكأنه بذلك عدو له أصاب منه ما لا قدرة لغيره عليه ، والناظر في شطر الشعر الذي جرى على لسان الرجلين "أنتَ مثلُ الشيطانِ للإنسانِ" يجده ليس مقطوع الصلة عن قول الحق – سبحانه–:

(كَمَثَلِ الشَّيْطَانِ إِذْ قَالَ لِلْإِنْسَانِ اكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ)(١)

بل هو مبنيٌّ عليه ومأخوذ منه، وكأنه اقتباس من الآية أراد به عمر أن يقول لصاحبه: علام تلومني في أمر أنت زينته إليَّ وحببتني فيه ؟ وكأن عمر لما علم من صاحبه تقواه وورعه أراد أن يقيم الحجة على صاحبه ويردَّ على لومه وعتابه بشيء من القرآن الكريم، فصاغ معنى الآية في هذا الشطر من البيت؛ حتى لا يكون لصاحبه عليه من سبيل فيما قاله في ابنة عمه زينب، لعلمه أنه لا يرضى عن منكر أو يسكت عنه .

وفي النهاية رأينا كيف كان ابن أبي عتيق يقف لصاحبه بالمرصاد عند كلِّ قول يخرج به عن قيم الدين الحنيف، ولا يرضى منه ما يدعو إلى التفحش والمجون ، حتى وإن كان من باب القول دون الفعل .

(١) سورة الحشر آية (١٦)

## المبحث الرابع- مراعاة الصدق والكذب في شعر عمر بن أبي ربيعة

من القيم الأخلاقية التي قام عليها النقد في العصر الأموي صدق العاطفة لدى الشاعر، وعدم الخروج بها إلى مرحلة المبالغة والغلو غير الواقعي؛ لأن ذلك عنصر من عناصر جمال النص الشعري عند أهل الذوق والبيان، أما إن شاب عاطفة الشاعر غلو، أو صورها بصورة خارجة عن المألوف ، صار نصه ممجوجاً عند أهل النقد والذوق وموضع استخفاف منهم.(١)

من ذلك أن ابن أبي عتيق سمع مرة عمر بن أبي ربيعة يقول :

ومنْ كانَ مَحْزوناً بإهْراقِ دمْعَةٍ وَهَىَ غَرْبُهَا فَلْيَأتِنَا نبْكِهِ غَدَا

نُعِنهُ على الإثْكالِ إنْ كان ثاكِلاً وإنْ كانَ مَحْرُوباً وإنْ كانَ مُقْصَدا(٢)

فلما أصبح ابن أبي عتيق ذهب إلى خالد الخِرِّيت، وقال له: قم بنا إلى عمر، فمضيا إليه فقال له ابن أبي عتيق: قد جئناك لموعدك يا عمر، فقال: وأي موعد بيننا؟ قال قولك: فليأتنا نبكه غدا، وقد جئناك، ووالله لا نبرح مكاننا أو تبكي إن كنت صادقاً في قولك ، أو ننصرف على أنك غير صادق ، ثم تركه ومضى.(٣)

ومعنى بيتي عمر: أنه ينادي على كل مكلوم الفؤاد، وصاحب الدمعة الحرَّى، وعلى كل نفس حزها الجزع وأضناها الوجع، بفقد حبيبٍ أو سلب

---

(١) ينظر: رفقة النديم في النقد القديم د/ نوال صالح ص١١٠، مركز الكتاب الأكاديمي ٢٠٠٨م

(٢) وَهَى: ضعف، العبرة : الدمعة، الغرب: مسيل الدمع من العين، الثاكل: الذي فقد حبيباً له، والمحروب: المسلوب، والمُقصد: الذي يمرض ويموت سريعاً، ينظر تاج العروس : (وهى، عبر ، غرب ، حرب ، قصد ) وديوان عمر ابن أبي ربيعة ص١١٧.

(٣) الأغاني ١٤٠/١ بتصرف.

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

مرغوبٍ أو شارفت نفسه على الهلاك – وقد ضعف مسيل الدمع من عينه – أن يأتي إليه ليبكي مكانه عونًا له عما أصابه .

وقد لاحظ ابن أبي عتيق بحسه المرهف أن بيتي عمر يفتقدان الصدق الشعوري ، الذي يجذب أحاسيس المتلقي إلى النص الشعري فيتفاعل معه، وأراد أن يثبت لعمر عملياً أن تخليه عن هذا الصدق سوف يضعه تحت طائلة النقد اللاذع، فالعاطفة الصادقة في نظره هي ما تنبعث من أسباب صحيحة غير زائفة أو مفتعلة، فصدق العاطفة عنده عنصر من عناصر الجمال في الشعر، وعلى الشاعر أن يكون أميناً مع نفسه صادقا في عواطفه، فلا يعبر إلا عما يشعر به أو يَعْنِيْه حقاً ، وما فعله ابن أبي عتيق مع صاحبه تطبيق عملي لما سُمّي بنقد الشعور.(١)

ولم يكن ابن أبي عتيق من أولئك الذين يُسلمون للشعراء بكل ما يقولون، ويقبلون منهم كل ما يُنشدون، وإنما كان له رأي في الشعر الذي يسمعه، ووجهة نظر في القريض الذي يُعرض عليه، من ذلك – أيضاً – أنه سمع عمر بن أبي ربيعة يقول في زينب بنت موسى الجمحية :

يا خَلِيْلَيَّ مِنْ مَلَامِ دَعَانِي ... وأَلِمَّا الْغَدَاةَ بِالْأَظْعَانِ
لا تَلُوما فِي آلِ زَيْنَبَ إنَّ الْـ ... ـقَلْبَ رَهْنٌ بِآلِ زَيْنَبَ عَانِي
وَهْيَ أَهْلُ الصَّفَاءِ والوُدِّ مِنِّي ... وإلَيْهَا الهَوَى فَلا تَعْذِلانِي(٢)

(١) ينظر: تاريخ النقد الأدبي عند العرب من العصر الجاهلي إلى القرن الرابع الهجري، طه أحمد إبراهيم ص٥٥: ٥٦ المكتبة الفيصلية ، مكة المكرمة ١٤٢٥هـ ٢٠٠٤م.

(٢) ديوان عمر بن ربيعة ص٣٧٧، ومعنى ملام : أي: من اللوم ، ودعاني : اتركاني ، وألمّا : اقصدا زائرَيْن، والأظعان : هي النساء المحمولات في الهوادج بقصد الرحيل، رهن : متعلق مرهون، وعاني: مجهد ومتعب من الشوق والمحبة، والهوى: الميل والاتجاه، فلا تعذلاني: فلا تلوماني ولا تتسخطا ما تريانه مني، شرح ديوان عمر بن أبي ربيعة ، محمد محي الدين عبد الحميد ص٢٨٠ بتصرف، المكتبة التجارية الكبرى، ط الأولى ١٣٧١هـ ١٩٥٢م.

وعمر في هذه الأبيات يدعو خليليه أن يتركا أمر لومه وعتابه وأن يقصدا هؤلاء النسوة اللاتي يشبهن الظعائن في خمائلهن؛ ليتمتعا بجمالهن وحسنهن، ثم يدعوهما ألا يلوماه في حب آل زينب، ولا يخفى أن آل زينب هنا من باب ذكر العام وإرادة الخاص ، والخاص هنا زينب وحدها لأنها هي التي تمكنت من فؤاده، وأحرقت بحبها قلبه .

وكأنه لما قال: لا تلوما في آل زينب ... أثار هذا القول في خبيئة صاحبيه وسرائرهما سؤالاً مؤداه: ولماذا لا نلومك ونعتب عليك في حبك هذا ؟ فجاء قوله: إن القلب رهن بآل زينب عاني ... ليجيب على سؤال صاحبيه ويشبع فضولهما، ويروي ظمأ المعرفة لديهما؛ ليعلما أن قلبه مرهون بحبها متعلق بودها، متعب في هواها ومجهد من شوقه إليها .

ثم زاد الكلام توضيحاً والمعنى بياناً بقوله :

وَهْيَ أهلُ الصفاءِ والودِّ منِّي وإليها الهوى فلا تعْذِلانِي

وانظر إلى أسلوب القصر في قوله: "وإليها الهوى" وما يفيده من اختصاص الحب والشوق والميل إليها دون سواها من النساء، ومن ثم فلا يحق لصاحبيه بعد ذلك أن يلوماه في شيء يمت بأيَّة صلة تتعلق بزينب وغرامه بها، ومن هنا لما سمع ابن أبي عتيق قوله هذا قال له: "أمَّا قلبُك فقد غُيِّبَ عنَّا وأما لسانك فشاهد عليك"(١).

وهنا نرى ابن أبي عتيق قد حمل كلام عمر على ظاهر أمره، من اعترافه بلسانه بأن زينب أهل لكل صفاء ومودة، وأنه قصر شوقه وهواه عليها دون سواها من النساء، وأما ما تعلق بأمر قلبه من كونه متعباً

(١) الأغاني ١٠١/١ .

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

ومجهداً من شدة شوقه إليها وغرامه بها فلم يعتد به؛ لأنه يرى أن أمر القلب هذا مغيب عن السامعين، ولا يدري ما حل به إلا صاحبه، فهو وحده الذي يعرف منه صدق الحب والتدله في هوى المحبوب، ويعلم –أيضا– كذبه فيما وُصف به وادعاه.

وكأن ابن أبي عتيق يقول لعمر: من أين لنا الكشف عن حقيقة ما أصاب قلبك، والتعرف على ما ألمَّ به من تباريح الهوى واشتعال نيران الجوى، وهو جزء مستور عنا لا نستطيع الوقوف على حقيقة ما حلَّ به، وأما لسانك وما تنطق به فشاهد عليك بما تدعي من الوجد والصبابة، ومِنْ قَصْر هواك عليها دون ما سواها، فإن أنكر أحد ذلك فعليه أن يثبت صحة ما يدعيه.

## المبحث الخامس- نقد ابن أبي عتيق بين تناسب المعاني وتضادها

من أشد ما كان يثير حفيظة ابن أبي عتيق تجاه شعر عمر، أن يرى فيه شيئاً من التناقض بين أجزاء الصورة على نحو غير مألوف أو متعارف عليه، أو يرى شيئاً من عدم التناسب بين ظاهر الجملة المتحدث بها والمعنى المراد منها، ومن ثم كان مثل هذا يدعوه إلى تسجيل نقده واعتراضه على صاحبه مرة بعد أخرى حتى يرفع راية التسليم، أو يكشف له عن السرِّ في ذلك ...

فمثلا: من المعهود المألوف عن المرأة في الشعر العربي أنها المتمنعة المرغوبة، والمحببة المطلوبة، يتبتل العاشق في محراب هواها عشقا، ويتميز إلى لقياها شوقا، ويظل بين صدها وإقبالها ، وهجرها ولقائها ، وقربها وبعدها، ويعيش هنيئاً إذا اكتحلت برؤيتها عيناه، وسمعت بعض كلامها أذناه ... هكذا كانت ، فلا يُعرف عنها سوى كتمان الهوى، وإخفاء تباريح الجوى، ولا يُعلم شيء عن نبضات قلبها أو دفقات شعورها، وذلك مما يرغب في التعلق بها، وإدامة قربها ووصلها.

وهذا ما صرح به السليك بن السلكة حين كره وصل المرأة التي تبذل نفسها للرجال ، ومال إلى المرأة الممنعة العفيفة فقال :

يَعَافُ وِصَالَ ذاتِ البَذْلِ قَلْبِي وَيَتْبِعُ المُمَنَّعَةَ النَّوَارَا [1].

---

(١) يعاف : يكره ، ذات البذل : التي تبذل نفسها للرجال ، والممنعة : ذات المنع التي لا تكره على فاحشة ،النوار : النافرة من كلّ قبيح وشر ، ينظر تاج العروس: ( عيف ، بذل ، منع ، نور ) وديوان السليك بن السلكة ص٧٥ شرح / سعدى الضناوي- دار الكتاب العربي – بيروت – ط : الأولى ١٤١٥هـ ، ١٩٩٤م .

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

وها هو الشنفرى يصف عفة وحياء محبوبته فيقول :

لقد أعجبتني لا سَقُوطاً قِناعُها ... إذا ما مَشَـــتْ ولا بِذَات تَلَفُّتِ
يَبِيْتُ بِمنجَاةٍ مِـن اللَّوْمِ بَيْتُهـا ... إذا ما بُيُـــوتٌ بالمَذَمَّةِ حُـلَّتِ
كأنَّ لهَا في الأرضِ نِسْياً تَقُصُّهُ ... على أمِّـها وإنْ تَكَلَّـمْكَ تَبْلَتِ [١].

أما أن تُريق المرأة ماء حيائها للـــراغبين، وترفـــع برقـــع تســـترها للناظرين، فتكون هي الطالبة العاشقة والمتغزلة الراغبة، فهذا خروج عـــن المألوف، ونبذ لكل ما هو مشهور ومعروف ؛ لأن "العادة عنـــد العـــرب أن الشاعر هو المتغزل المتماوت ، وعادة العجم أن يجعلوا المرأة هي الطالبـــة والراغبة والمخاطِبة ، وهذا دليل كرم النحيزة في العـــرب وغيرتهـــا علـــى الحُرم"[٢]

أما ابن أبي ربيعة فقد غرَّد خارج السرب ، وجنح عن المـــألوف فـــي غزل المحب ــ في كثير من الأحيان ــ وتمرد على عادتهم في أمر النســـيب من كون "الشاعر لا يزال يطلب ويأمل، ويتضرع ويرجو العطف والحنان، بل لا يزال يعلن العشق والهيام مسترحماً مستعطفاً"[٣].

أما صاحبنا فكثيرًا ما تراه يُظهر نفسه في صورة المعشوق لا العاشق والمحبوب لا المُحب ، فالمرأة في شعره هي المُثارة بـــه والراغبـــة فيـــه،

---

(١) النسي: الشيء المنسي أو المفقود. تقصه: تتعقب أثره. أمها بفتح الهمزة: قصدها. تبلت: أوجزت، ينظر : تاج العروس :( نسي ، قصص ، أمم ، بلت ) وديوان الشـــنفرى ص٣٢، ٣٣ تح/إميل بديع يعقوب، دار الكتاب العربي، بيروت، ط :الثانية ١٤١٧هـ ١٩٩٦م.

(٢) العمدة لابن رشيق ١٢٤/٢

(٣) تاريخ الأدب العربي ــ شوقي ضيف ٣٥٢/٢ دار المعـــارف ــ مصـــر ــ ط : الأولـــى ١٩٦٠ــ١٩٩٥م.

والمُثنية عليه، والمانحة رائق حديثها إليه، ولما كثر هذا الأمر في شعره كان حرياً أن يكون مأخذاً عليه وأن يُنبَّه إليه، ومن ثم لما أنشد عمر قوله :

بينما يَنعَتنِي أبْصَرْنَنِي ... دونَ قيدِ الميلِ يَعْدُو الأغَرْ
قالتْ الكبرى أتعرفْنَ الفتى ... قالتْ الوسطى نعمْ هذا عُمرْ
قالتْ الصغرى وقدْ تيَمْتُهـا ... قد عَرفنَاهُ وهلْ يَخفى القمرْ[١]

قال له ابن أبي عتيق: "أنت لم تنسب بها وإنما نسبت بنفسك ، كان ينبغي أن تقول: قلتُ لها فقالت لي، فوضعت خدي فوطئت عليه"[٢] فابن أبي عتيق لم يعجبه أن ينحرف عمر عن المهيع الخاص بالعاشقين، أو أن يفارق سمت المحبين، فيظهر نفسه في صورة المطلوب المحبوب والمعشوق المرغوب؛ لأنه بهذا يُحدث خللاً في جدار الطبيعة الغزلية، وانعكاساً في علاقة الرجل بالمرأة، ومن قال له : "أنت لم تنسب بها وإنما نسبت بنفسك" وتلك مقولة تجعلك ترى عمر قد نسي أمر النسوة اللاتي تذاكرنه وأبصرنه، وأُغرم بنفسه وشبابه وامتطائه صهوة جواده وهو يعدو به بين يدي هؤلاء النسوة، فراح يمدح نفسه على لسان صغراهن بعد أن تيمها عشقا، وشغفها حباً، فأصبحت لا تسطيع لهذا الحب كتمانا، ومن ثم بادرت الجميع بقولها: "وهل يخفى القمر"؟ ثم إن ابن أبي عتيق لم يكتف بأن لفت انتباه عمر إلى خرقه لما هو سائر ومألوف وتجاوزه لأعراف السابقين في مثل هذا المقام، بل راح يرشده –وكأنه يفترض فيه عدم العلم– إلى ما ينبغي أن يكون عليه في مثل هذا الموقف الذي يَرَيْنه فيه ربات الجمال وصاحبات الدلال، من التذلل والخضوع والانكسار ولسان حاله:

---

(١) قيد الميل: مقدار الميل، الأغر: الفرس في جبهته بياض، ديوان عمر ابن أبي ربيعة ص١٦٥.
(٢) العمدة لابن رشيق ١٢٤/٢.

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

تَدَلَّلْ لها واخْضَعْ على الْقُربِ والنَّوى فما عاشقٌ مَنْ لا يَذِلُ ويَخْضَعُ[١]

ولسان مقاله: "كان ينبغي أن تقول: قلتُ لها فقالت لي، فوضعتُ خَدي فوطئتْ عليه" فهذه طبيعة المتحابين وإيلاف العاشقين، أن يبدأها بالسلام والكلام، فترد تارة وتمتنع أخرى، فتؤجج نار شوقه حين تُسمعه كلامها، وتحرق فؤاده حين تحرمه من صوتها وجوابها، ثم إذا لم يجد العاشق سبيلاً إلى إرضاء المحبوبة سوى أن يضع خده على الأرض؛ لتطأ عليه بقدمها فلا حرج عليه في ذلك ...

وكأن مقولة ابن أبي عتيق هذه قد تلقفها الشعراء منه فصاغوها شعرا يُعَلق في جيد الزمان، كما في قول أحدهم:

كُنْ إذا أحببتَ عبدا للذي تهوى مُطيعا

لنْ تنالَ الْوَصْلَ حَتى تلزمَ النَّفْسَ الْخُضوعَا[٢]

وقول الآخر:

تحملْ عظيمَ الذنبِ ممنْ تحبه وإنْ كنتَ مظلوماً فقلْ أنا ظالمُ

فإنك إنْ لمْ تحْملِ الذَّنبَ في الْهَوَى يُفَارِقْكَ مَنْ تهوى وأنفُكَ راغِمُ [٣]

(١) شرح ديوان المتنبي لأبي العلاء المعري ص٦٩٩ تح/ محمد سعيد المولوي ـــــ مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات ـــ ط الأولى ١٤٢٩هـ ٢٠٠٨م.

(٢) البيتان في دلائل الإعجاز للإمام عبد القاهر ص٤٩٩ بلا نسبة تح/محمود شاكر، مطبعة المدني القاهرة ط الثالثة ١٤١٣هـ ١٩٩٢.

(٣) ديوان العباس بن الأحنف ص٢٤٣، شرح: عاتكة الخزرجي، دار الكتب المصرية، القاهرة، ١٣٧٣هـ ١٩٥٤م.

وبهذا كله ينال المحب الوصل ويهنأ بالقرب، ولم يكن هـذا القـول- أعني غرام عمر بنفسه وتغزله بها- وحيداً في شعره، بل أردف له أصحابا وجعل له قرناء، وأجرى ذلك على لسان صواحبه كقوله:

أرسلتْ هندٌ إلينا رَسُـــولاً عـاتِبَـاً أنْ مَـالَـنا لا نَـرَاكـا ؟
فيـمَ قـدْ أجمعتَ عنّا صُدوداً أأردتَ الصَّـرْمَ ؟ أم مـا عَدَاكا ؟
إنْ تكنْ حاولتَ غيظي بهجري فلقـدْ أدركتَ مـا قد كَفَاكَا
غـيرَ أنّي فاعْلَـمَـنْ ذاك حَـقَّـاً لَا أرَى النِّعْـمـةَ حَـتـى أرَاكَـا [١]

وقوله :

ذِكْـرُ الـرَّبابِ وكـانَ قـدْ هَـجَرا ذِكْـرى قُـرَيْبـةَ أحـدثتْ وَطَـرَا
قـالـتْ لِتـرْبَتِـهـا بِعَـمْـرِكُـــمـا هـلْ تـطْـمَـعَـانِ بِأنْ أرَى عُـمَرا
فـأجَـابَتاها فـي مُـهـــــازلـةٍ وأسَـرَّتا مِـنْ قَـولـهـا سَـــــخَـرَا
لـو كـانَ يـتأتـينا مُـجـاهـــرةً فـيْـمـنْ تَـرَيـنَ إذاً لـقـد شُـــهـرا
فـتـنـفـستْ صَـعَـداً لِـحِـلـفَـتِـــهـا وَهَـوتْ فـشـقّـتْ جَـيْـبَـهـا فَـطْـرَا
وجـرتْ مـآقـــــيها بأدمُـعِـهـا جَـزْعاً وقـالـتْ حُـبُّ مَـنْ ذكـرا
يا ربِّ إنّي قـد شَـغِـــــفـتْ به أعْـقِـبْ فُـؤادي مِـنهمُ صـبْرا [٢]

"وهذا على طريقته فإنه كثيراً ما يتغـزل بنفســه ؛ زعمـاً منــه أن المُخَدَّرَاتِ يعشقنه لحسنه وجماله ، وقد عيب عليه ذلك"[٣] كما مرَّ

(١) ديوان عمر بن أبي ربيعة ص٢٥٦
(٢) ديوان عمر بن أبي ربيعة ص١٧٠
(٣) خزانة الأدب للبغدادي ٣١٣/٥ تح/عبدالسلام هارون ــ مكتبـة الخـانجي القـاهرة ــ ط الرابعة ١٤١٨هـ ١٩٩٧م.

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

ومع ما في أبياته من نقد لاذع ظهر على يد ابن أبي عتيق إلا أن أهل الصنعة البديعية ذكروا أبيات عمر هذه "... وهل يخفى القمر" ضمن باب المراجعة، وقالوا :

إن في الأبيات خبيئين يدلان على قوة عارضة الشاعر وحذقه بمعرفة وضع الكلام مواضعه:

أحدهما: وهو الذي يدل على قوة العارضة أن قوافي الأبيات مقيدة – أي: ساكنة– ولو أطلقت لكانت كلها مرفوعة.

والخبيء الآخر هو أن الشاعر جعل التي عرفته وعرَّفت به، وشبهته تشبيهاً يدل على شغفها به هي الصغرى؛ ليدل بدليل الالتزام على أنه فتيٌّ السن، إذا الفتية من النساء لا تميل إلا إلى الفتىِّ من الرجال –غالباً– وختم قوله بما أخرجه مخرج المثل موزوناً: "وهلْ يَخفى القمرْ" ولا يقال : إنما مالت الصغرى له دون أختيها؛ لضعف عقلها وعدم تجربتها ؛ لأنه قد تخلص من هذا الدَّخَل بكونه أخبر أن الكبرى التي هي أعقلهن ما كانت رأته قبلُ – بدليل قولها : أتعرفن الفتى– وإنما كانت تهواه على السماع به، فلما رأته وعلمت أنه ذلك الموصوف لها، أظهرت من وجدها به على مقدار عقلها ما أظهرت من سؤالها عنه فحسب ، ولم تتجاوز ذلك، أو سألت عنه وقد علمته لتلتذ بسماع اسمه من باب تجاهل العارف الذي توجبه شدة الوله، والعقل يمنعها من التصريح بما في قلبها، والوسطى سارعت إلى التعريف باسمه، فكانت دون الكبرى في الثبات الذي يوجبه سنها وتوسطها، والصغرى لكون منزلتها في الثبات دون الأختين، أظهرت من معرفته وصفته

ما دلت به على شدة شغفها به، وكل هذا تدل عليه ألفاظ شعر عمر.[١] وهكذا شعر ابن أبي ربيعة لا تستطيع أن تفركه كله، وإنما إن ساءك منه شيء سرك منه آخر.

***

وما زلنا مع ابن أبي عتيق نستروح منه نقد المعاني غير المتناسبة في شعر ابن أبي ربيعة، من ذلك أن عمر بن أبي ربيعة كان يتعشق امرأة يقال لها أسماء ، فوعدته أن تزوره ، فتهيأ لذلك يوما فأبطأت عليه فنام ، فلم يلبث أن جاءت أسماء ومعها جارية لها ، فضربت الجارية الباب فلم يستيقظ ، فانصرفت أسماء وحلفت أن لا تأتيه حتى ينصرم حول كامل ، فلما علم عمر بالخبر أرسل في استرضائها امرأة ، وقال قصيدته التي منها [٢] :

طَالَ لَيْلِي وتعَنَّانِي الطَّربْ ... واعْتَرانِي طولُ هَمٍّ بِنْصَبْ
أرسلتْ أسماءُ في مَعْتَبَةٍ ... عَتَبَتها وَهْيَ أحْلى مَنْ عَتَبْ
أنْ أتى مِنها رسولٌ مَوْهِنًا ... وجدَ الحيَّ نياماً فانقلبْ
ضربَ البابَ فلمْ يشعرْ بهِ ... أحدٌ يفتحُ عنهُ إذْ ضَربْ
فأتاها بحديثٍ غاظها ... شبَّهَ القولَ عليها وكَذَبْ[٣]

---

(١) تحرير التحبير لابن أبي الأصبع ٥٩٠ : ٥٩١.تح/حفني محمد شرف، الجمهورية العربية المتحدة – المجلس الاعلى للشئون الإسلامية – لجنة إحياء التراث .

(٢) أخبار النساء لابن الجوزي ص٩٩بتصرف تح/ نزار رضا ــ دار مكتبة الحياة ــ بيروت ــ لبنان ١٩٨٢م.

(٣) تعناني الطرب: اشتد عليّ عناء القلق، النصب: شدة التعب والإعياء، المعتبة : العتاب واللوم، موهنا : داخل في الوهن من الليل أي قبيل أواخره ، انقلب : عاد ورجع ، شبه القول : بدل وغير ولم يقل الحقيقة ينظر تاج العروس ( عني، نصب ، وهن، قلب، شبه ) وديوان عمر بن أبي ربيعة ص٤٦ : ٤٧.

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

إلى أن قال في وصف المرأة التي أرسلها؛ لتستعطف له أسماء وتسترضيها:

فبعثنا طِبَةً مُحتالةً تمزجُ الجِدَّ مِراراً باللعبْ
ترفعُ الصوتَ إذا لانتْ لها وتراخِي عند سَوْراتِ الغضبْ
لم تزلْ تصرفُها عنْ رأيِها وتأنَاها برفقٍ وأدبْ [١]

ولكون ابن أبي عتيق أنفذ بصراً وأدق حساً من غيره عندما يعرض عليه شيء من أبيات عمر، نراه يقول له بعد أن سمع تلك الأبيات التي وصف بها المرأة التي أرسلها إلى أسماء: "نحن منذ قُتل عثمان- رضى الله عنه- في طلب من هذا صفته لنوليه الخلافة ولسنا نجده"[٢] وما قال له ذلك إلا لأنه نظر في أوصاف تلك المرأة التي أرسلها عمر؛ لتستعطف له أسماء وتسترضيها حتى لا تهجره حولاً كاملًا، فرأى فيها من الحكمة التي تذلل الصعاب، وتسهل أمر العتاب ، مالا يوجد في غيرها من النساء، وأبصر من سداد الرأي ورقة الطبع ومن اللين والرفق، مالا يكون إلا عند الخلفاء الذين يسوسون الناس ويدبرون أمرهم ، ويعاملونهم بالرفق مرة وبالشدة أخرى .

وكأن قول ابن أبي ربيعة :

ترفعُ الصوتَ إذا لانتْ لها وتراخِي عند سَوْراتِ الغضبْ

منظور فيه إلى قول معاوية بن أبي سفيان -رضي الله عنه-: "لو كان بيني وبين الناس شعرة ما انقطعت. قالوا : كيف يا أمير المؤمنين؟ قال: إذا

(١) الطبة : الخبيرة العارفة بتصريف الأمور ، وتراخي : تهدأ ، وسورات الغضب: غليانه واحتدامه، وتأناها: تتأناها وتستمهلها ، ينظر تاج العروس :( طبب ، رخو ، سور، أني ) وديوان عمر بن أبي ربيعة ص٤٧.

(٢) جمهرة الأمثال لأبي هلال العسكري ٩٩/١ دار الفكر ـــ بيروت.

جذبوها أرسلتها، وإذا أرسلوها جذبتها"[١] وتلك سياسة حكيمة تبين كيف يحتوي الراعي رعيته ويحوطهم برعايته، مع استخدام اللين مرة والشدة أخرى، ولكن الذي لم يعجب ابن أبي عتيق أن صاحبه خلع تلك الصفات المرجوة في الحاكم العادل، فجعلها لتلك العجوز التي أرسلها لتصلح بينه وبين أسماء .

والمتأمل مقولة ابن أبي عتيق لصاحبه عمر يراه كأنه يرشده إلى ما أسماه البلاغيون بعدُ بمراعاة مقتضى الحال في وصف تلك الخبيرة التي أرسلها إلى أسماء ، وأن تكون صفاتها مناسبة لوصفها ، لا أن يتجاوز بصفاتها ويعلو بها إلى مرتبة صفات الحاكم العادل ، الذي يسوس الناس برفقه ولينه وعدله وحكمته .

ومقولة ابن أبي عتيق في هذه المرأة أخف وطأة من الشطط الذي وقع فيه أحدهم حين سمع أبيات عمر في وصف تلك المرأة فقال: لو ادَّعتْ النبوة بهذا الخُلق لأؤمننَّ بها.[٢] وما ذاك إلا لأن عمر توخى لها من الصفات ما لا يكمل في مثلها غالباً.

*****

ومن المواضع التي انتقدها ابن أبي عتيق في شعر عمر بن أبي ربيعة لتناقض المعاني فيها ، وعدم التناسب بين التراكيب قوله :

ومَنْ لِسقيمٍ يكتمُ الناسَ ما بهِ ... لـزينبَ نجْوى صدرِهِ والوساوسُ

أقولُ لَمَنْ يَبغي الشفاءَ متى تؤبْ ... بزينبَ تدركْ بعضَ ما أنتَ لامسُ

(١) الذخائر والعبقريات لعبد الرحمن البرقوقي ١٦٦/٢ ــ مكتبة الثقافة الدينية ــ مصر .
(٢) التذكرة الحمدونية ٣٩٧/٩ بتصرف ــ دار صادر ــ بيروت ــ ط : الأولى ١٤١٧هـ.

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

فإنَّك إنْ لم تأتِ يوماً بزينبٍ ... فإنِّي مِنْ طِبِّ الأطباءِ يائسُ
ولستَ بناسٍ ليلةَ الدارِ مجلساً ... لزينبَ حتى يعلوَ الراسَ رامسُ
خَلاءً بدتْ قَمراؤهُ وتمَحَّضتْ ... دُجُنَّتُهُ أو غَابَ مَنْ هو حارسُ
فما نلتُ منها مَحرماً غيرَ أننا ... كلانا مِنَ الثوبِ المُوَرَّدِ لابسُ
نجِيَّيْنِ نقضي اللهوَ في غيرِ مَحرمٍ ... ولو رَغِمتْ مِ الْكَاشِحِيْنَ المعاطسُ (١)

فلما سمع ابن أبي عتيق ــ وهو بالمدينة ــ قول عمر :

فما نلتُ منها مَحرماً غيرَ أننا ... كلانا مِنَ الثوبِ المُوَرَّدِ لابسُ

قال: أبنا يلعب ابن أبي ربيعة، فأي محرم بقي؟ فركب بغلته متوجهاً إلى مكة، فلما بلغ أنصاب الحرم قيل له: أَحْرِمْ، قال : إن ذا الحاجة لا يُحرم، فلقي ابن أبي ربيعة فقال له: أما زعمت أنك لم تركب حراماً قط ؟ قال: بلى، قال: فما قولك:

فما نلتُ منها مَحرماً غيرَ أننا ... كلانا مِنَ الثوبِ المُوَرَّدِ لابسُ (٢)

وهنا نرى ابن أبي عتيق- بعد أن اكتمل المشهد أمامه باعتراف صاحبه- لم يطق صبراً حتى رحل من المدينة -على ساكنها أفضل الصلاة والسلام- إلى مكة؛ ليميط اللثام ويكشف النقاب عن هذا التناقض الذي أوجده بن أبي ربيعة بين شطري بيته :

---

(١) السقيم : المريض ، ونجوى صدره : أراد حديث النفس خاليا ، تؤب : تعود ، الرامس: القابر الذي يدفن الميت، أراد حتى أموت، بدت: ظهرت، قمراؤه: نوره، والدجنة: الظلام الشديد، نجيين: يناجي كل منا الآخر، رغمت: لصقت بالرغام وهو التراب، وم الكاشحين : أراد من الكاشحين وهم الحساد الحاقدون ، والمعاطس : الأنوف...ينظر: تاج العروس :( سقم، نجو، أوب، رمس، بدا، قمر، دجن، رغم، كشح، عطس) وديوان عمر بن أبي ربيعة ص٢٠١ بتصرف.

(٢) الكامل في اللغة والأدب لأبي العباس المبرد ١٧٥/٢ بتصرف، تح/ محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر العربي، القاهرة، ط: الثالثة ١٤١٧هـ ١٩٩٧م.

فـما نلتُ مـنها مَحرمَاً غيرَ أنّنا كـلانا مِـنَ الثوبِ الـمُوَرَّدِ لابـسُ

إذ كيف ينفي أن يكون قد نال منها محرماً في الشطر الأول من البيت؟ ثم يثبت ويؤكد في الشطر الثاني من البيت نفسه أن كليهما ملتحف بثوب واحد ومتدثر برداء فريد؟ ثم يزيد الأمر دهشة عند السامع حين يصف الثوب الذي يحوطهما بأنه مورَّدٌ، والثوب المورد: هو الذي به شيء من الحمرة، أو عليه نقاط حمراء.(١)

وهنا قفز في عقل ابن أبي عتيق -بلا تردد- أن الثوب المذكور قد تورَّد من أثر الفعلة الشنعاء، ومن هنا بادره بقوله: فأي محرم بقي؟ لاندهاشه من وجود رجل وامرأة في ثوب واحد دون أن يكون الحرام قد نال منهما ونالا منه، ومن ثم رأى ابن أبي عتيق أن ثمة ثلمة كبيرة في جدار المعنى لابد أن تُسد، وفجوة واضحة- وضوح الشمس في رابعة النهار- بين ظاهر اللفظ وخفي المراد من البيت لابد أن تلتئم ، وكأن شعر صاحبه ابن أبي ربيعة قد بدا عاجزاً عن تبرئة قائله من تهمة ألصقها بنفسه، فلما رأى عمر من صاحبه أنه يطالبه بما أشكل عليه فهمه، حتى تنحسر عن شعره هذا ظلمة التهمة ، وتشرق عليه شمس التبرئة قال له: "والله لأخبرنك، خرجتُ أريد المسجد، وخرجت زينب تريده، فالتقينا فاتعدنا لبعض الشعاب، فلما توسطنا الشعب أخذتنا السماء، فكرهت أن يُرى بثيابها بلل المطر ، فيقال لها: ألَا استترت بسقائف المسجد إن كنت فيه؟ فأمرتُ غلماني فسترونا بكساء خزٍّ كان عليَّ ، فذلك حين أقول:

كـلانا مِـنَ الثوبِ الـمُوَرَّدِ لابـسُ

فقال له ابن أبي عتيق: يا عاهر، هذا البيت يحتاج إلى حاضنة ".(٢)

(١) ينظر : تاج العروس ٣١٦/٣١.
(٢) الأغاني ١٠٣/١.

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

وقول ابن أبي عتيق لصاحبه: "يا عاهر" تصريح منه بأن بيته السابق قد عجز عن تبرئته من مظنة السوء وأن ألفاظه تدل على فسق صاحبها، مهما حاول أن يدافع عن نفسه أو ينفي عنها ما لاط بها من الفحش والمنكر، ثم لم يكتف ابن أبي عتيق بوسم صاحبه بالفسق، بل زاد عليه قوله :

"هذا البيت يحتاج إلى حاضنة" والحاضنة :هي الموكلة بالصبي تحفظه وتربيه.(١) وكأن ابن أبي عتيق يقول لصاحبه: قد استوفيت في بيتك هذا كل ما يلزم من لقاء الرجل بالمرأة – اللقاء المعروف – ولم يبق لك إلا أن تجهز حاضنة تتكفل برعاية الطفل الناتج عن هذا اللقاء .

فلله دره من ناقد استطاع أن يكشف ما استتر وراء جدار الألفاظ ، وما أدق نظره في استجلاء ما غاب عن النهى والألحاظ .

*****

ويبدو أن صاحبة الثوب المورد لم تكن مجرد امرأة في حياة ابن أبي ربيعة، بل كان لها منزلة خاصة عند الرجل، ومكانة سامقة في حياته، ومن ثم كان لمنزلتها من نفسه أثر في أن تملك شغاف قلبه، وتلهب بحبها نيران شوقه، حتى لم يعد في قلبه مكان لسواها، ولا يوجد في فؤاده منزلة لغيرها، ولم يكن هذا الحب حبيس الضلوع والجوانح، أو دفين الحنايا والجوارح، وإنما صدح به صاحبه في محراب الهوى، ونادى به فوق شرفات الشوق والجوى، فشنف آذاننا بجميل لفظه وهو يقول :

لمْ تَدَعْ للنساءِ عندي نصيباً غيرَ ما قلتَ مازحاً بِلساني

(١) تاج العروس ٢٤/٤٤٣.بتصرف

وَقَـلَى قَـلبِيَ النسـاءَ سِـواها ... بعدَ ما كانَ مُغْرَماً بالغَواني
إنَّ قَـلبي بعـدَ الـذي نالَ منها ... كَالْمُعَنى عنْ سائـرِ النسوانِ
هِـي دَائـي وَهـي الـدواءُ لِدائِي ... لَـوْ أداوَى بِـريـقِـها لَشَـفـاني
وَأَرَجِّي أنْ يَجمـعَ الدهرُ شَمْلاً ... بِـكِ سقياً لِـذالكمْ مِـنْ زمانِ
لَـيْتَنِي أشْتَرِي لنـفْـسَي مِـنها ... مِـثْـلَ وُدِّي بساعِـدي وبَنـانِـي[1]

ومن يتبصر هذه الأبيات مرة أخرى، يرى أن ابن أبي ربيعة قد سجل فيها اعترافاً قلَّ أن تجد مثله في ديوانه الزاخر بأسماء النساء اللاتي كان له معهن مغامرات ولقاءات وزيارات أمثال: هند بنت الحارث المُرِّيـة، وكُلثم بنت سعد المخزومية، والثريا بنت عبدالله، وعزة الميلاء، وعائشة بنت طلحة، وفاطمة بنت عبدالملك، وسعدى بنت عبد الرحمن بن عوف، والرباب، وهند، والنوار، وعبلة، وأسماء .... إلخ هؤلاء النسوة اللاتي سطرهن في ديوان شعره الغزلي ...

حيث أثبت هنا أن زينب بنت قدامة هذه قد تمكنت من فؤاده، فلم تدع فيه مكاناً لسواها، وأن كل ما قاله في سواها من الصبابة والهوى والميل، إنما كان من طرف اللسان على سبيل المزاح والهزل ... وليس في القلب منه شيء، ومن ثم لما سمع ابن أبي عتيق هذه الأبيات قال له : "رضيت لها بالمودة وللنساء بالدهفشة"[2] والمودة: هي المحبة.[3] والدهفشة : هي

(١) لم تدع : لم تترك ، نصيباً : حصة أو شيئا ، مازحا : ناطقا بهزل دون جد ، قلى : كره ، الغواني: مفردها غانية، وهي المرأة التي اغتنت بجمالها عن الزينة والتجمل ، المُعنى: المتعب، أراد الذي أصابه ملل وزهد، الداء: المرض العضال، الريق: الرضاب، أرجي: آمل، سقيا: دعاء بالخير للزمان الذي يجمعه بها، ودي : حبي ....ينظر تاج العروس : ( نصب، مزح، قلى، غنى، عنى، ريق، دوأ، رجأ، سقى، ودد) وديوان ابن أبي ربيعة ٣٧٨ /٣٧٩ بتصرف

(٢) الأغاني ١٠٤/١.

(٣) ينظر: لسان العرب لابن منظور٤٥٣/٣، دار صادر، بيروت، ط الثالثة ١٤١٤هـ .

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

الخديعة ومغازلة الرجل المرأة،[١] وكأن ابن أبي عتيق قد استقرأ شعر صاحبه كله، ومرَّ به على عقله، ورأى ما فيه من غزل صريح، وتشبيب بباقي النساء، فلم يجد فيه هذا القدر من الاعتراف والتسليم ما وجده في شأن زينب، وهذا ما جعله ينصب ميزان النقد بين عينيه؛ ليضع زينب بنت موسى في كفة وحدها، ويضع باقي النساء في كفته الأخرى، وليت المودة بين زينب والنساء كانت مناصفة بين الكفتين، إذاً لهان الأمر شيئاً ما على باقي النساء؛ بما حصلن عليه من مودة في قلب ابن أبي ربيعة فاتن قلوب العذارى، ومعشوق ربات الحجال، ولكن الطامة الكبرى التي ألمت بهن أن زينب وحدها هي من استأثرت بقلب ابن أبي ربيعة، وانطوى عليها فؤاده، وسكنت في سويدائه، وشَفَتْ قلبه من بُرحائه، فكان لها منه خالص الحب والمودة والتمكن من القلب، وللنساء البواقي ما جرى على طرف اللسان من ذكر الصبابة والشوق والمحبة.

ومن هنا حكم ابن أبي عتيق على ما قاله في شأن النساء- سوى زينب- بأنه من باب الخديعة والمغازلة اللفظية التي تمرق من اللسان، دون أن يكون لها نصيب من الجَنان، وذلك من باب المناسبة بين اللفظ والمعنى المراد، حيث رضى لها بالحب الذي استقر في سويداء القلب، ولغيرها ظاهر اللفظ من غزل ومدح ونسيب.

*****

وبعد فهذا جهد قليل وبضاعة مزجاة حاولت من خلالها عرض بعض النقدات التي رمى بها ابن أبي عتيق في أديم شعر ابن أبي ربيعة مؤيداً مرة ومخالفاً أخرى، بقدر ما تيسر من التقدير ، بعون من الله وتوفيق وتسديد .

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

---

(١) تاج العروس ٢٠٩/١٧.

## الخاتمة

الحمد لله وحده ، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده ، سيدنا محمد ــ صلى الله عليه وسلم ــ وعلى آله وصحبه ، ومن سار على هديه إلى يوم الدين ، ثم أما بعد

فيجدر بنا في نهاية هذه الرحلة أن نضع بين يدي القارئ الكريم، أهم النتائج التي خلصت إليها هذه الدراسة، والمتمثلة في الأمور الآتية :

**أولاً**- إصابة ابن أبي عتيق في وصف شعر عمر ابن أبي ربيعة دليل على امتلاكه الذائقة البيانية التي يميز بها من بين جيد الشعر ورديئه، وذلك حيث يقول: فلشعر عمر لوطة بالقلب وعلق بالنفس ودرك للحاجة .... إلخ تلك الأوصاف .

**ثانياً** – حمل وصف ابن أبي عتيق شعر عمر بن ابي ربيعة بين جنباته البذور الأولى لقضية عمود الشعر العربي ، التي تأصلت بعده بقرنين أو ثلاثة .

**ثالثاً** - استقباح ابن أبي عتيق صورة الفحش التي ظهرت في بعض شعر عمر وإنكاره عليه ذلك ؛ دليل حرصه على مكارم الأخلاق الحسنة ، ورفضه كلَّ ما يأباه الدين الحنيف حتى ولو كان من باب القول دون الفعل.

**رابعاً**- اهتمام ابن أبي عتيق دائما بسد الفجوات في شعر صاحبه، إذا كان ناتجًا عن التناقض بين ظاهر اللفظ والمعنى المراد؛ من ثم لابد من كشف النقاب عن هذا التناقض حتى تبرأ ساحة الشعر من الوصف بالفسق أو العهر .

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

**خامساً**- اهتمام ابن أبي عتيق بصدق العاطفة لدى صاحبه، وعدم الخروج بهذه العاطفة إلى مرحلة المبالغة والغلو غير الواقعي؛ حتى لا يفقد النص عنصراً مهمًّا من عناصر جماله وإشراقه .

**سادساً**- مؤاخذة ابن أبي عتيق صاحبه بما ينطق به لسانه، دون الركون إلى ما غُيب عنه في قلبه؛ لأن ذلك لا سبيل إلى معرفته والوقوف على حقيقة أمره.

**سابعاً** - عدم رضاه عن عمر في وصف نفسه بالمعشوق المطلوب والمرغوب المحبوب؛ لأنه بذلك يُحدث خللاً في طبيعة الغزل، وانعكاساً في طبيعة العلاقة بين الرجل والمرأة .

**ثامناً**- الدعوة إلى مراعاة مقتضى الحال في وصف العجوز التي أرسلها إلى محبوبته لتستعطفها وترضيها، وألا يعلو بصفاتها إلى صفات الحاكم الذي يسوس الناس برفقه ولينه وعدله وحكمته .

**تاسعاً**- تعدد أسماء النساء في شعر ابن أبي ربيعة دليل على عدم صدقه في ادعاء محبتهن ، وإنما هذا دليل على أن حبه وقتيٌّ ، فاليوم لإحداهنَّ وغداً لغيرها.

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

## المصادر والمراجع

١- أخبار النساء لابن الجوزي، تح: نزار رضا، دار مكتبة الحياة، بيروت، لبنان ١٩٨٢م.
٢- أسرار البلاغة للإمام عبد القاهر الجرجاني، تح: محمود محمد شاكر، مطبعة المدني القاهرة ، دار المدني بجدة.
٣- الأغاني لأبي الفرج الأصفهاني ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، ط الأولى ١٤١٥هـ .
٤- البديع في نقد الشعر لأسامة ابن منقذ، تح: أحمد أحمد بدوي، الجمهورية العربية المتحدة وزارة الثقافة والإرشاد القومي.
٥- تاج العروس للزبيدى، تح: مجموعة من المحققين ، دار الهداية.
٦- تاريخ الأدب العربي، شوقي ضيف، دار المعارف، مصر، ط الأولى ١٩٩٥/١٩٩٦م.
٧- تاريخ النقد الأدبي عند العرب من العصر الجاهلي إلى القرن الرابع الهجري، طه أحمد إبراهيم ، المكتبة الفيصلية، مكة المكرمة ١٤٢٥هـ / ٢٠٠٤م.
٨- تاريخ النقد الأدبي والبلاغة حتى القرن الرابع الهجري د/محمد زغلول سلام، منشاة المعارف ،الإسكندرية.
٩- تاريخ النقد الأدبي عند العرب د/إحسان عباس – طبعة دار الثقافة – بيروت – ط : الرابعة ١٤٠٤هـ ، ١٩٨٣م .
١٠- تاريخ النقد الأدبي عند العرب – د/عبد العزيز عتيق- دار النهضة العربية – بيروت -١٣٩١هـ ،١٩٧٢م .

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

١١- تحرير التحبير لابن أبي الإصبع العدواني تح: د. حفني محمد شرف، الناشر الجمهورية العربية المتحدة، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، لجنة إحياء التراث.
١٢- التذكرة الحمدونية، دار صادر، بيروت، ط الأولى ١٤١٧هـ .
١٣- تهذيب اللغة للأزهري، تح: محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط الأولى ٢٠٠١م.
١٤- الجامع الكبير في صناعة المنظوم من الكلام والمنثور لابن الأثير- تح/مصطفى جواد – مطبعة المجمع العلمي – ١٣٧٥هـ .
١٥- جمع الجوامع في الملح والنوادر لأبي إسحاق الحصري إبراهيم بن علي القيرواني، تح: محمد العزازي دار الكتب العلمية، بيروت.
١٦- جمهرة الأمثال لأبي هلال العسكري، دار الفكر، بيروت.
١٧- حب ابن أبي ربيعة وشعره ــ لزكي مبارك ــ مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة، ٢٠١٢م.
١٨- خزانة الأدب للبغدادي، تح/عبدالسلام هارون، مكتبة الخانجي القاهرة، ط الرابعة ١٤١٨هـ / ١٩٩٧م.
١٩- دلالات التراكيب د/ محمد أبو موسى، مكتبة وهبة، ط الرابعة ، ١٤٢٩هـ ٢٠٠٨م.
٢٠- دلائل الإعجاز للإمام عبد القاهر، تح/محمود شاكر، مطبعة المدني القاهرة ط : الثالثة ١٤١٣هـ ١٩٩٢م.
٢١- ديوان البحتري شرح/ حسن كامل الصيرفي- المجلد الرابع – طبعة دار المعارف.
٢٢- ديوان السليك بن السلكة – شرح/ سعدي الضناوي – دار الكتاب العربي- بيروت- ط : الاولى ١٤١٥هـ ١٩٩٤م.

٢٣- ديوان الشنفرى تح/ إميل بديع يعقوب – دار الكتاب العربي – بيروت – ط: الثانية ١٤١٧هـ ،١٩٩٦م .
٢٤- ديوان العباس بن الأحنف، شرح: عاتكة الخزرجي، دار الكتب المصرية، القاهرة، ١٣٧٣هـ ١٩٥٤م.
٢٥- ديوان امرئ القيس، تح/عبدالرحمن المصطاوي، دار المعرفة، بيروت، ط الثانية ١٤٢٥هـ ٢٠٠٤م.
٢٦- ديوان طرفة بن العبد تح/مهدي محمد ناصر – دار الكتب العلمية – ط : الثالثة – ١٤٢٣هـ – ٢٠٠٢ م
٢٧- ديوان عمر بن أبي ربيعة شرح د/ فايز محمد، دار الكتاب العربي ــ بيروت ط الثانية ١٤٦١هـ .
٢٨- ديوان عنترة بن شداد تح/ محمد سعيد مولوي – المكتب الإسلامي ١٩٦٤م .
٢٩- ديوان كثير عزة ، شرح إحسان عباس – دار الثقافة – بيروت- ١٣٩١هـ ،١٩٧١م .
٣٠- الذخائر والعبقريات لعبد الرحمن البرقوقي ــ مكتبة الثقافة الدينية ــ مصر.
٣١- رفقة النديم في النقد القديم د/ نوال صالح ، مركز الكتاب الأكاديمي ٢٠٠٨م.
٣٢- زهر الآداب وثمر الألباب لابن تميم الأنصاري، دار الجيل ، بيروت.
٣٣- شرح ديوان أبي تمام تح/ راجي الأسمر- دار الكتاب العربي- بيروت – ط: الثانية ١٤١٤هـ ١٩٩٤م.
٣٤- شرح ديوان الحماسة للمرزوقي، تح /غريد الشيخ ــ دار الكتب العلمية ــ بيروت ــ لبنان ــ ط : الأولى ١٤٢٤هـ ٢٠٠٣م .

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

٣٥- شرح ديوان عمر بن أبي ربيعة، محمد محي الدين عبد الحميد، المكتبة التجارية الكبرى، ط الأولى ١٣٧١هـ ١٩٥٢م.
٣٦- شرح ديوان المتنبي لأبي العلاء المعري، تح/ محمد سعيد المولوي، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات، ط الأولى ١٤٢٩هـ ٢٠٠٨م.
٣٧- شرح المقدمة الأدبية لشرح المرزوقي على ديوان الحماسة للطاهر بن عاشور – الدار العربية للكتاب – ليبيا – تونس – ط : الثانية ١٣٩٨هـ ، ١٩٧٨م .
٣٨- الشعر والشعراء لابن قتيبة، دار الحديث، القاهرة ١٤٢٣هـ .
٣٩- الطبقات الكبرى لابن سعد تح/ إحسان عباس، دار صادر بيروت، ط الأولى ١٩٦٨م .
٤٠- عبدالله بن أبي عتيق قراءة في نقده النظري والتطبيقي، د/شاذلي عبد الغني إسماعيل، مقال على الشبكة العنكبوتية، موقع الألوكة بتصرف بتاريخ ٢٠١٦/٩/٢٦م، ١٢/٢٣/ ١٤٣٧هـ .
٤١- العمدة لابن رشيق، تح /محمد محي الدين عبدالحميد، دار الجيل، ط الخامسة ١٤٠١هـ ١٩٨١م.
٤٢- عمود الشعر النشأة والتطور- أحمد بزيو- مجلة الأثر العدد٢١- جامعة باتنة – الجزائر.
٤٣- العين للخليل بن أحمد- تح/ مهدي المخزومي وإبراهيم السامرائي –دار ومكتبة الهلال .
٤٤- الفصل بين الشعر والدين في التراث النقدي عند العرب، كامل يوسف عتوم، بحث منشور في المجلة الأردنية في اللغة العربية آدابها، المجلد(٣) العدد (٢) ١٤٢٨هـ ٢٠٠٧م .
٤٥- في النقد الأدبي – د/ علي علي صبح

٤٦- قواعد الشعر لأبي العباس المعروف بثعلب، تح/ رمضان عبد التواب، مكتبة الخانجي، القاهرة ط الثانية ١٩٩٥م.
٤٧- الكامل في اللغة والأدب لأبي العباس المبرد، تح/ محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر العربي، القاهرة، ط الثالثة ١٤١٧هـ ١٩٩٧م.
٤٨- لسان العرب لابن منظور٣/٤٥٣، دار صادر، بيروت، ط الثالثة ١٤١٤هـ .
٤٩- لمحات نقدية في نص شعري لعمر بن أبي ربيعة، د/ علي محمد طلب، مجلة كلية اللغة العربية بأسيوط ، العدد٢٣ / ٢٠٠٤م.
٥٠- معجم المصطلحات النقد الأدبي القديم – د/أحمد مطلوب – مكتبة لبنان– ط : الأولى٢٠٠١م .
٥١- الموازنة للآمدي تح/ السيد أحمد صقر- دار المعارف – ط : الرابعة .
٥٢- من أنواع النقد الأدبي، للأستاذ خالد المحيمد، مقال منشور في جريدة الرياض ٢٧ ٢٠١٢م.
٥٣- النقد الأدبي الحديث د/محمد غنيمي هلال – طبعة دار الثقافة- بيروت .
٥٤- نقد النص الأدبي حتى نهاية العصر الأموي – د/ فضل ناصر الحيدرة – كلية الآداب – جامعة الكوفة – ١٤٢٤هـ، ٢٠٠٣م .
٥٥- النقد في العصر الأموي – د/حبيب الكريطي – قسم الدراسات القرآنية واللغوية – جامعة النجف – العراق .
٥٦- النقد المنهجي عند العرب – د/محمد مندور- دار نهضة مصر – ١٩٩٦م.
٥٧- الوساطة للقاضي الجرجاني تح/محمد أبو الفضل إبراهيم – مطبعة عيسى البابي الحلبي.
٥٨- وفيات الأعيان لابن خلكان تح: إحسان عباس، دار صادر بيروت، ١٩٠٠م.

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

# فهرس الموضوعات


| م | الموضوع | الصفحة |
|---|---|---|
| ١. | ملخص البحث | ١٢٥٤٧ |
| ٢. | Abstract | ١٢٥٤٨ |
| ٣. | المقدمة | ١٢٥٤٩ |
| ٤. | المبحث الأول : النقد التأثيري في شعر عمر بن أبي ربيعة . | ١٢٥٥٦ |
| ٥. | المبحث الثاني : الجذور الأولى لعمود الشعر العربي في نقد ابن أبي عتيق . | ١٢٥٦٣ |
| ٦. | المبحث الثالث : النقد الديني في شعر عمر بن أبي ربيعة. | ١٢٥٧٧ |
| ٧. | المبحث الرابع : مراعاة الصدق والكذب في شعر بن أبي ربيعة. | ١٢٥٨٥ |
| ٨. | المبحث الخامس: نقد ابن أبي عتيق بين تناسب المعاني وتضادها . | ١٢٥٨٩ |
| ٩. | الخاتمة | ١٢٦٠٣ |
| ١٠. | المصادر والمراجع | ١٢٦٠٥ |
| ١١. | فهرس الموضوعات | ١٢٦١٠ |